

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܟܬܒܬܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

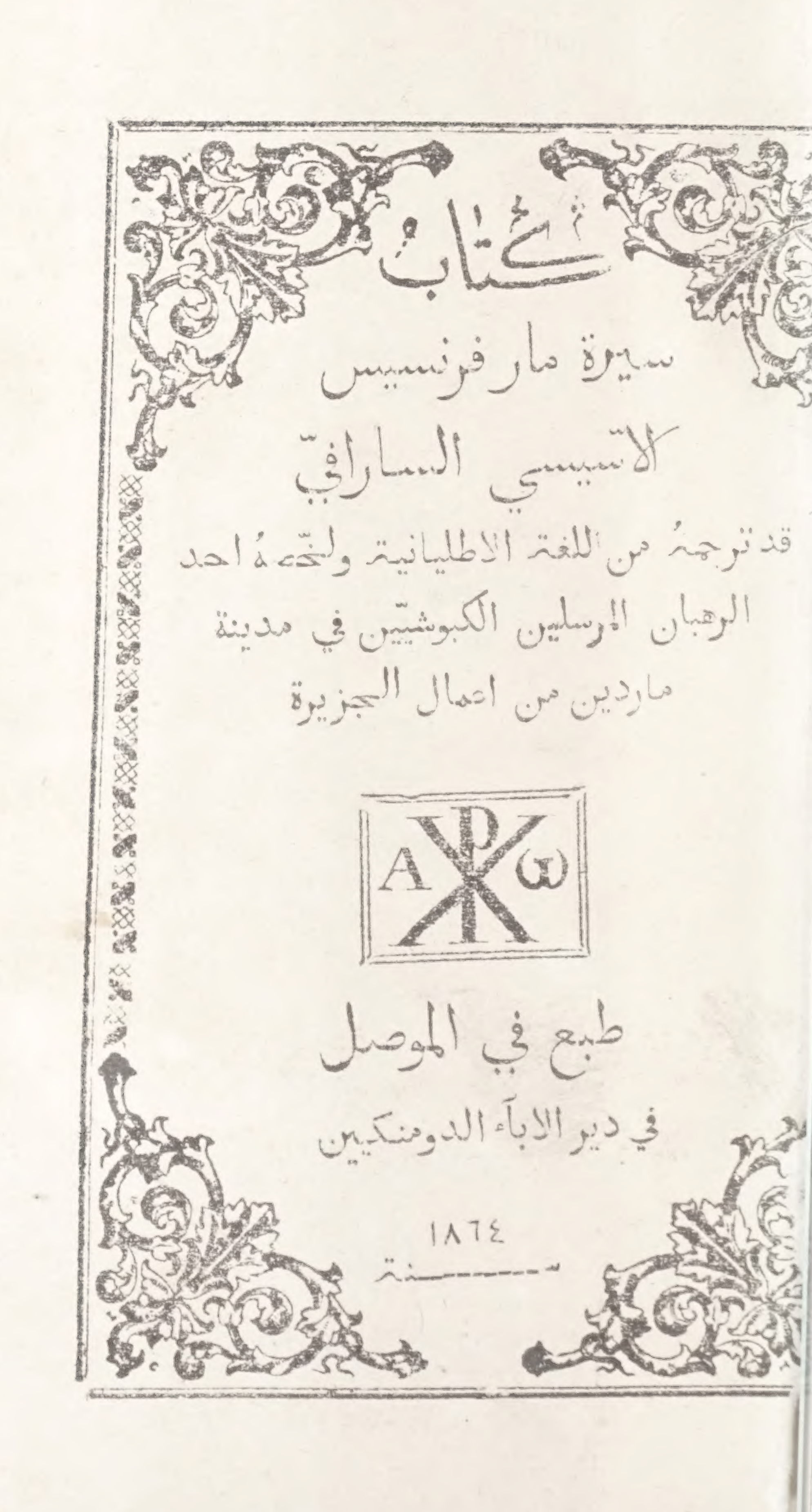
Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܡܩ̈ܕܫܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒ̈ܢܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܪܝܐ ܕܚܛܗ ܢܫܠ ܠܐ ܐܘ
ܠܢܫ ܠܗ ܫܪܝܐ ܟܠ ܕܡܫܪܐ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܪܝܐ ܥܡܗ
ܒܚܘ̈ܒܘܗܝ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.



كتاب

سيرة مار فرنسيس

الاسيسي السارافي

قد ترجمهُ من اللغة الاطليانية ولخصهُ احد
الرهبان الارسلين الكبوشيين في مدينة
ماردين من اعمال الجزيرة

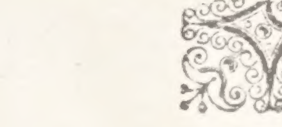
طبع في الموصل

في دير الاباء الدومنكيين

١٨٦٤

سنة



VIE

DE

S. FRANÇOIS D'ASSISE

TRADUITE DE L'ITALIEN

PAR UN PÈRE CAPUCIN,

MISSIONNAIRE A MARDIN,

(MÉSOPOTAMIE)



MOSSOUL

Chez les Pères Dominicains

1864




IMPRIMATUR

Fr. B. M. Henricus, O. P. E. Arcad.

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي جلّ اسمهُ في اصفيائه وتعالى مجدهُ في قدّيسيهِ واوليائهِ اما بعد فهذا مختصر في سيرة القدّيس الجليل مار فرنسيس السارافي لخّصناهُ من كتب حياتهِ واخبارهِ ولاسيّما ممّا كتبهُ عنهُ مار بونونتورا احد رهبانهِ السامين . ولقد كنّا نتمنّى ان نتحف عامّة القارئين بقصّة سيرة هذا الاب المغبوط بتمامها كما هي في الكتب المذكورة الاّ انّ ذلك كان يستوجب منّا املاء مجلّدات غير قليلة ويملّ من كثرتهِ القارئون فاقتصرنا على ما رايناهُ منها نافعًا مؤنسًا . فعليك ايّها القارئ بتلاوة هذا الملخّص بشوقٍ وتأنٍ . وتامّل في الامور الجليلة التي تصادفها في حياة هذا الرجل العظيم واتّخذ لك منهُ قدوةً لا نتخاب

الفضيلة التي تحتاج اليها في الاكثر ولنبذ الرذيلة المتسلطة عليك اكثر من غيرها شاكرًا الربّ الذي عظّم وشرّف مختارهُ هذا الذي سار على الارض سيرةً ملاكيّةً وجعل مثواهُ في دار النعيم مجازاةً لاتعابهِ الغيوريّة . ربّنا وفّقنا الى ملتقاهُ في تلك الجنان القدسيّة بجاههِ وجاه كلّ من حظي عندك آمين ❊

الفصل الاوّل

نظرٌ اجماليٌّ في سيرة مار فرنسيس

لمّا كان فرنسيس الساراڧي قد انتخبهُ الباري تعالى لكي يردّ العالم من طريق الاثم الذي كان تائهًا فيهِ اذ ذاك. استحقّ أن يكون شبيهًا بيسوع المبارك في حياتهِ كلّها. وناهيك أنّهُ مثلما يسوع المسيح في ابتداء إنذارهِ اختار اثني عشر رسولًا لكي يزدروا بكلّ الاشياء الدنيويّة ويتبعوهُ بالحقّ والهدى الى سبيل الملكوت السموي. كذلك هذا القدّيس اختار عند بدء تاسيس رهبنتهِ اثني عشر رفيقًا كي

يتزوّدوا بفضيلة الفقر السامية ويقتنوا
الكنوز السموية ، وكما أنّ واحدًا من تلاميذ
المسيح الاثني عشر اي يهوذا الاسخريوطي
امسى ابن الهلاك هكذا واحد من رفاق
فرنسيس الاثني عشر اسمهُ يوحنّا كاپلّوس
كفر بالرهبنة وشنق نفسهُ ومثل هذا الرجل
الشقي يوجب الصدّيقين شكرًا للّه ويعلّمنا
التواضع والفزع حتّى نفتكر أنّ الانسان
لا يقدر أن يامن أنّهُ يثبت في النعمة
الى الموت * ثم إنّهُ كما أنّ رسل المسيح
تلالاوا بالقداسة والتواضع الكامل
وسائر مواهب الروح القدس . كذلك

صحابة مار فرنسيس صاروا رجالاً مزيّنين بقداسةٍ وكرامات بهنّ فاقوا على كلّ مَن سبقهم منذ عهد الرسل، فانّ احدهم ارتفع الى السمآء الثالثة مثل مار بولس وهو الاخ اجيديوس، والاخ فيلبّس الطويل لمس الملاك شفتيه بكلبة نارية مثل اشعيآء النبي، والاخ سِلوسْتَر كان يناجي الله مناجاة الاصدقآء مثل موسى الكليم، والاخ برنردس المشهور بتواضعهِ كان يطير بلطافةٍ الى نور الحكمة الالهيّة مثل النسر الانجيلي اعني به مار يوحنّا الرسول وكان يفسّر الكتاب

المقدّس تفسيرًا غويصًا جدًّا . ثمّ إنّ
إحدًا منهم تأيّدت قداسته وعُدّ بين
القدّيسين وهو حيٌّ بعد على الارض .
هذا كان الاخ رُفِينُس وكان رجلًا شريفًا
في مدينة اسّيسي . وهكذا جميع صحابة
مار فرنسيس شاعوا بالقداسة والمناقب
العجيبة . كما سترى في أثناء سيرة
مار فرنسيس الآتي شرحها ٭

الفصل الثاني

في مولد فرنسيس الطوباوي

إنّ فرنسيس الطوباوي وُلد في مدينة
اسّيسيا التي هي من أعمال أُمبريا في اطاليا

ذلك سنة ١١٨٢ للمسيح . وكان اسم ابيه
برنردوني واسم امّه ڤيكا . وكانت خودًا
شريفةً نجيبة ذات تقوى وفضائل .
فلمّا حان زمان ولادتها اخذها الطلق
ووقعت في مخاض شديد . حتى تعسّر
وضعها الى الغاية . فاتى الى باب
البيت رجل غريب فقير يتسوّل ورأى
اضطراب اهل البيت فسال عن سبب
ذلك . فقيل لهُ . فقال لهم من قبل الله حوّلوا
هذه المرأة المتعسّرة من هاهنا الى اصطبل
فتلد في الحال . فاخذوها الى اصطبل
قريب من البيت ولوقتها وضعت ذكرًا ۞

واعلم أنّ ذلك الاصطبل بعد مدة من الزمان بُني هيكل في موضعه وصُوّرت فيه هذه الاعجوبة، والآن في كلّ سنة في اليوم الثاني عشر من شهر آب جميع المرضى من مدينة اسّيسيا الذين لا يقدرون ان يذهبوا الى بيعة مريم العذراء المعروفة بالملاكيّة حجًّا اذا زاروا الهيكل المذكور يكسبون اليوبليون *

الفصل الثالث

في عماد مار فرنسيس وصباه الشريف

فلمّا راى اهل فرنسيس هذه الاعجوبة ارادوا أن يكرموا ذلك الفقير الغريب

فاختاروه اشبينًا يحمل الطفل في العماد . فلمّا دخلوا البيعة سجد الغريب للقربان المقدس فانطبعت ركبتاه في القاع فتعجّب الحاضرون . ثمّ انّه من بعد ما حمل الطفل في العماد غاب عنهم . ومن ذلك ظنّوا أنّه ملاك مرسل من قبل الله . ودعوا الطفل يوحنّا . وفي سرّ التثبيت سمّوه فرنسيس

ولمّا بلغ سنّ التمييز وضعهُ ابوهُ في المدرسة ولكن حيث انّ اباهُ كان تاجرًا اشغلهُ في امور تجارتهِ . وانّ فرنسيس في سنّ حداثته قضى زمانًا في لهو الدنيا وصفاها غير انّه بنعمته تعالى لم يطلق العنان للشهوات

الدنيئة ابدًا ولو أنّه كان متعاطيًا بالامور
الدنيويّه ومع ذلك لم ينصبّ قلبهُ الى
الاشياء الزائله ٠ بل كان رحومًا سخيًّا نحو
الفقرآء حتى انّهُ جزم على نفسهِ جزمًا قاطعًا
أن يتصدّق على كلّ مَن يسألهُ بحبّ
الله ✻ واذ كان يومًا من الايّام مشغولاً بامور
تجارتهِ دنا منهُ فقير وطلب اليهِ صدقةً ٠
فلم يعطِهِ ٠ فانصرف الفقير ٠ ولكن فرنسيس
بعد ذلك افتكر في هذا الامر ٠ فانتبه على
عدم رأفتهِ ٠ فبادر الى ذلك الفقير واعطاهُ
صدقة ٠ ونذر نذرًا للربّ أن لا يردّ فقيرًا
يتصدّق في سبيل الله ٠ وانجز نذرهُ هذا الى

الموت ، ولسبب ذلك خوّله الله آلاء غزيرة بملء النعمة والمحبّة ، ولمّا كان علمانيًّا كان كلّما سمع لفظة محبّة الله ارتعش قلبه ببهجة عجيبة ، كما حكى هو عن نفسه بعد ذلك عندما صار راهبًا ❊

وكان حليمًا جدًّا صبورًا بشوشًا سخيًّا اكثر ممّا تحمل طاقته ، وكان ذلك دليلًا على ما كان سيصير فيها بعد ❊

الفصل الرابع

في ارشاد الربّ له بعجائب ثم برؤيا

وكان في ذلك الزمان في مدينة اسيسيا رجل وديع اتّي في البائن متيّم من الله لانه

كان أيّ مرّة يصادف فرنسيس يخلع رداءه ويفرشهُ على الارض لكي يمشي عليهِ قائلاً: إنّ فرنسيس مستوجب إكراماً عظيماً وسوف يعمل أعمالاً جليلةً شهيرة ويكون مشرّفاً عند جميع المؤمنين كافةً ويقول لفرنسيس: امش على ردائي لانك ستصير قدّيساً قدّيساً قدّيساً. وامّا فرنسيس فما كان يعبأ بكلامهِ لانّهُ كان مهموماً بالتجارة كعادة الشبّان * ثمّ إنّ الربّ برأفتهِ ورحمتهِ اراد ان يهذّبهُ ويرشدهُ، فجرّبهُ تجربتين شديدتين. التجربة الاولى حلّت عليهِ اذ كان في حربٍ بين اهل

بروجيا واهل اسيسيا. فان اهل بروجيا
قبضوا عليه اسيرًا برفقة آخرين. وطرحوهُ
في السجن. وبقي هناك سنتين. واصطبر
على هذه التجربة بفرحٍ وشجاعةٍ عظيمة.
حتى انهُ كان يحث رفاقه ان يصبروا
منتظرين الخلاص عن قريب * التجربة
الثانية اصابته بمرض ثقيل طويل اعتراهُ.
حتى نحف جسمهُ وهُزل. واَمّا روحهُ
فنالت بذلك قوةً واستعدادًا اكثر لقبول
نعمة الروح القدس. ولما برئ من مرضهِ
وتعافى خرج يومًا من بيتهِ متزيِّنًا بثيابٍ
فاخرة. فلقي رجلًا شريفًا كان قد افتقر

وكان من فاقتهِ لابسًا لباسًا حقيرًا . فرقّ قلب فرنسيس عليهِ . وتبادل معهُ بالثياب ❊ وفي الغد اراهُ الله قصرًا عظيمًا نفيسًا في داخلهِ اسلحة وافرة ثمينة مرسومة عليها علامة الصليب . ولانهُ لم يفهم معنى هذه الرؤيا سأل عنها . فقيل لهُ : إنّ هذه العلامات تشير اليك والى عسكرك الذي سيأخذ علامة الصليب ويتبعك بشجاعة ❊

الفصل الخامس

في تفسير الرويا المذكورة وفي محبتهِ للبرص

انّ فرنسيس لمّا رأى هذه الرؤيا فهمها فهمًا حرفيًّا لا روحيًّا لانّهُ لم يكن بعد

مرتشدًا في الامور الروحيّة . فقام في الغد باكرًا وانطلق الى مملكة نابلي ليصير جنديًّا . ويكتب اسمهُ تحت لوآء امير شريفٍ كريم ذي باسٍ واقتدار . ليقتني بهذه الرتبة عسكرًا كثيرًا ويكسب كرامة وثروة . فناجاهُ الربّ ليلةً من الليالي اذ كان في الطريق . وقال لهُ : ارجع الى بلدك . لانهُ لابدّ أن تنجز فيك تلك الرؤيا الروحيّة . ولا يليق بك أن تترك الاله السمآء والارض لتخدم انسانًا ارضيًّا موضوعًا للموت * فرجع الى بيته حالاً . وشرع يواظب على الصلوة بنوعٍ عجيب . والصلوة حركت

في قلبهِ احتقاراً عظيماً لجميع الاشياء الدنيوية الزائلة · ورغبةً جزيلة في أن يبيع كلّ ما له ويشتري درّة الانجيل الكثيرة الثمن * غير أنّهُ لم يكن يعلم ماذا يصنع · بل كان يحسّ في ضميرهِ بالهامات الهيّةٍ بها كان الربّ يرشدهُ ويفهّمهُ أنّ التجارة الروحيّة وجنديّة المسيح يلزم اصحابها اماتة النفس والجسد والانتصار على هواهم · فكانت هذه الأشواق كلّ يوم تنتعش في قلبهِ · وترغبهُ في طلب الاماتة الكاملة والنكران بنفسهِ واحتقارها * وسنحت له يوماً فرصةً جيدة لذلك · وذلك أنّهُ دعتهُ الحاجة الى ان ينطلق الى ظاهر

مدينة اسيسيا . وبينما هو ماضٍ صادف رجلاً ابرص فاول ما رآهُ تكرهت نفسهُ منهُ . ولكن في الحال خطر بباله انهُ إن اراد أن يكون جنديًّا للمسيح يجب عليهِ ان يغلب نفسهُ . وعند ذلك نزل عن الفرس وتقدم نحو الابرص وهو قد بسط يدهُ يطلب صدقةً . فقبّل فرنسيس يد الابرص بشوقٍ ورغبةٍ . ورجع ركب الفرس سريعًا . ثم تطلّع حولهُ فلم يرَ الابرص . مع أنّ البرّية كانت سهلة . فتعجّب لذلك وامتلأ قلبهُ عزاءً روحيًّا . وشكر الربّ . وجزم على نفسهِ ان يعمل أعمالاً عظيمةً في خدمته تعالى ٭

الفصل السادس

في محبّته للمساكين ورغبته في الفقر الاختياري

كان فرنسيس يحبّ الخلوة، وينفرد من رهج الناس مصلّيًا ومتضرّعًا الى الربّ ليكشف له ارادته المقدّسة. واذ كان يومًا يصلّي ظهر له مخلّصنا يسوع المسيح مصلوبًا. وبعد ما انعم الله عليه بهذه الكرامة اتّقدت في فؤاده شهائب الحبّ ليسوع، حتّى انّه كان كلّما تذكّر آلام سيّدنا يسوع المسيح تهطل من عينيه دموع غزيرة. ثمّ اذ كان قبلًا يكره النظر الى البرص وتشمأزّ نفسه منهم ولو عن بعدٍ صار بعكس

ذلك منعطفاً اليهم لكثرة النعمة التي حازها من الله . حتى انه كان يمضي الى البيمارستانات ويقبّل ايادي المرضى ووجوههم بكل ورع . ويخدمهم بكل تواضع كانهم شخص المسيح نفسه *

وربما كان يعطي الفقرآء ثوبه او جزءاً منه . ويسعف من كان محتاجاً من الاقليرس . ويعطي نفقاتٍ لتزيين المذابح بكل فرحٍ * وحجّ مرّةً الى مدينة رومية ليزور كنيسة مار بطرس الرسول . فابصر على بابها عدداً وافراً من الفقرآء . فاعطى لباسه للذي بان له منهم اكثرهم

احتياجًا . واخذ خاقان ذلك القميص ولبسها . وقضى بقيّة يومهِ ذلك بين اولئك المتسوّلين بسرورٍ جزيلٍ وارتقاشٍ زائد ☼

الفصل السابع

في تقشّفاته ومناجاة الربّ لهُ في اصلاح الكنيسة

لانّ فرنسيس كان حاملاً صليب المسيح في قلبهِ فكان يهتمّ جدًّا بقمع جسدهِ وصلبهِ واماتتهِ . لكي تشترك النفس والجسد في ثمن فدائنا ولكي يسوغ لهُ بحملهِ الصليب ان يصيبهُ حصّة من أفضال المسيح وموتهِ ☼ وهذه الامور كلّها التي اوردناها الى الآن

وقعت قبلما صار فرنسيس راهبًا . فلم يكن له اذ ذاك في هذه الاشياء معلّم الّا يسوع المسيح . فكان الله عزّ وجلّ يكلّمهُ كلّ يوم ويرشده في هذا الشان العظيم ☼

ومما يستحق الذكر من ذلك هو انّهُ كان فرنسيس يومًا في كنيسة مار دميانس الخارجة عن سور مدينة اسّيسيا مشغولًا بصلوة حارّة قدّام صورة المصلوب . فسمع صوتًا خارجًا من فم الصورة قائلًا له ثلاث مرّاتٍ : قم يا فرنسيس اذهب واصلح بيتي المنهدم ☼ فلمّا سمع القدّيس هذا الصوت العجيب مكث متحيّرًا وغاب عن حسّه مدّةً . ثمّ

تفرّس في الكنيسة فرآها عتيقةً وقريبةً ان تسقط، فظنّ انّ هذا الصوت الربّانيّ كان يامرهُ بان يرمّ تلك الكنيسة، فاقبل في الحال وتناول مقدارًا من تجارتهِ وذهب بهِ الى مدينة فولينيو، وكانت بعيدةً عن اسيسيا نحو اربع ساعات ، وباع هناك تلك البضاعة، وباع معها فرسهُ ايضًا ، ومن بعد رجوعهِ الى اسيسيا اعطى الدراهم لكاهنٍ فقيرٍ كان ساكنًا في تلك الكنيسة ، وطلب اليهِ باحترام أن يقبلها منهُ وينفقها على إصلاح الكنيسة ، وتوسّل بهِ أن ياذن لهُ بان يسكن فيها مدّة ، فاذن الكاهن لهُ بذلك ولكنّهُ لم

باخذ الدراهم لخوفهِ أن يغضب ابوهُ . فطرحها فرنسيس من شبّاك الكنيسة الى داخلها . فلمّا نُمي على سماع ابيهِ هذا الخبر اغتاظ جدًّا . واتى واخذ الدراهم باضطرابٍ وتهديد عظيم وذهب لكي يضرب مار فرنسيس . أمّا هو فاختفى في السكرستيّا وراءَ الباب . وانفتح الجدار قدّامهُ من ذاتهِ بنوعٍ عجيب . فدخل فيهِ ونجا بحول الله من غضب ابيهِ ۞



الفصل الثامن

في احتمالهِ الاذى من ابيهِ وفي تركهِ الوراثة الابوية

فمكث مار فرنسيس مختفيًا في مغارةٍ مدّةً ما خوفًا من ابيهِ . وهو مرعوبٌ من هيبتهِ وتوبيخهِ نفسهِ . ثمّ خرج من المغارة ودخل المدينة . فلمّا رآهُ الناس متغيّر الصورة وعليهِ ثياب الرثاثة جعلوا يحتقرونهُ ويستهزئون بهِ . ويتلاحقونهُ كانّهُ مجنون ويضربونهُ بالحجارة بضجيجٍ عظيم . فاشتدّ غضب ابيهِ وزاد من اجل هذا العار الذي اصابهُ . واخذهُ الى البيت . وضربهُ ضربًا اليمًا . وقيّدهُ وحبسهُ في حجرةٍ أُحكم إغلاقها .

وبقي فيها هكذا الى حين ذهاب ابيه
الى محلٍّ بعيدٍ. وحينئذٍ تحنّنت عليه أمّه
واطلقته * وفي آخر الامر ارتضى ابوهُ
معه أن ينطلقا كلاهما الى المطران فيترك
ابنه قدّام المطران الوراثة لابيهِ. فلمّا امتثلا
بين يدي المطران نزع فرنسيس ثيابه
حتّى القميص. وناولها كلّها لابيهِ بفرحٍ
وشجاعةٍ قائلًا: الى الآن دعوتك يا ابا على
الارض. فالواجب من الآن فصاعدًا أن
اقول ابانا الذي في السماوات الذي
وضعت عنده كلّ كنزي ورجائي * فتعجّب
المطران من هذه الحرارة واخذت عيناه

تذرف دموعًا غزيرة . وغطّاهُ بردائهِ . وامر أن ياتوهُ بكسوةٍ ليلبس . فاتوهُ حالًا بثوبٍ وكان رداء فلاح المطران . فتناولهُ القدّيس بفرحٍ وشكرٍ جميل . واراد أن يفصّلهُ بشكل الصليب ☼

وخرج من المدينة . وذهب الى احدى الرياض مترنمًا بمدائح الربّ . فصادف لصوصًا . فسالوهُ من انت . فاجابهم بتوكّل وروح نبوّة وقال: انا بوق الملك العظيم . فضربهُ اللصوص ضرباتٍ اليمةً . وطرحوهُ في هوّة مملوّة من الثلج . وتركوهُ وانصرفوا ☼

وكان القدّيس يشعر بسرورٍ عظيم في هذه الحوادث وأمثالها. وكان اذا أتته شتائم يفرح ويرتّل مسبّحًا لله * ثمّ إنّه انطلق الى ديرٍ ما ليطلب صدقةً كأحد الفقرآء الغربآء. فبلغ الى مدينة غوبيو. وعرفه هناك صديقٌ قديمٌ. فانزلهُ في بيتهِ واواه واعطاهُ كسوةً كاملة لا فقريّةً بل محتشمةً. فاكتسى بها مدّة سنتين. وشدّ وسطه بحزام من جلد. وكان له حذآءٌ في رجليهِ وبيده عصًا كأنّه احد النسّاك *



الفصل التاسع

في خدمته للمرضى واعتنائه باصلاح ثلاث كنائس

وبقي مارفرنسيس في تلك المدينة زمنًا ما • وكان يتردّد الى البيمارستانات برافةٍ جزيلةٍ • ويغسل أقدام المرضى • وينظّف جروحهم ويقبّلها بخشوعٍ عجيب • ومن اجل هذا الاغتصاب الذي بهِ كان يغلب ذاته انعم عليهِ الربّ بقوّةٍ بها كان يشفي الأمراض الروحيّة والجسديّة ☼

ومن ذلك أنّه كان في ارض سبولينو رجلٌ مبتلَى بمرضٍ معضلٍ غير قابل الشفا • فانّهُ كان مضروبًا بآكلةٍ تقرض فمهُ وخدَّيهِ • واذ

كان هذا البائس راجعًا من حجّ رومية لزيارة كنيسة مار بطرس تلاقى مع مار فرنسيس · فجثا قدامهُ ليقبّل قدميهِ · فابى القدّيس وتمنّع لكثرة اتّضاعهِ · ولكنّهُ دنا من المريض وقبّل فاهُ المنتن المملوء من القيح بانعطافٍ ورأفةٍ عظيمة · وفي الحال تعافى المريض من مرضهِ الشديد ☼

ثم انّ فرنسيس لمّا تاصّلت فيهِ التقوى واحتقار ذاتهِ وترك هوى الدنيا الزائلة رجع الى مدينة اسّيسيا · وشرع يتسوّل بين الأقوام الذين كانوا يعرفونهُ حينما كان غنيًّا مقتدرًا معتبرًا ☼ واذاهُ صوت الاهي وامرهُ

أن يصلح بيعة مار دميانس حسبما فهم هو. فابتدأ ان يرمّها ويعمّرها وهو فقير. وهذا كان قد عجز عنه قبلاً اذ كان غنيًّا. غير أنّهُ بأتعابهِ وعملهِ وحملهِ على ظهرهِ الحجارة للبنآء وبالصدقات التي كان يطلبها من الناس اصلح البيعة المذكورة. فغدت منظّمةً ☼ وعمل كذلك ايضًا لترميم كنيسةٍ مسمّاةٍ باسم مار بطرس. وكان هو متعبّدًا لهذا القدّيس بنوعٍ خصوصي ☼

ثمّ انطلق الى محلٍّ بعيدٍ عن اسيسيا مسافة ساعةٍ يقال لهُ برتيُنكُلا. وكان هناك بيعةٌ عتيقةٌ مهملةٌ بلا عمارة. فلمّا بلغهُ أنّ

هذه الكنيسة كانت على اسم القدّيسة
مريم سيّدة الملئكة وعلم أنّ الملئكة كانوا كثيرًا
ما يزورون هذه البيعة فلعبادته الحارّة نحو
الملئكة ونحو سيّدتهم اهتمّ اهتمامًا جزيلًا
وعمّر تلك الكنيسة بتعبٍ وافرٍ وعزم أن
يأسّس مسكنه هناك ☼

الفصل العاشر

في حبهِ لمريم البتول وللملئكة وفي ابتدائهِ بالسيرة الرهبانية

في ذلك الذلّ والتواضع الذي كان
فرنسيس متصفًا بهِ مدّة اقامته في هذه
الكنيسة المذكورة ابتدأ بان يسير سيرةً
شهيرة ، وهناك ايضًا تزايد في الفضائل ،

وفي هذا المكان ايضاً صار كاملاً بهيا ونجح فيها
نجاحاً سعيداً . وعند موته اوصى رهبانه بان
تحفظ على هذه الكنيسة كموضع سعيد
مكرم مقبول لوالدة الله . وفي هذه الكنيسة
نشّم مار فرنسيس بمبادئ رهبنته الجليلة
كما سترى فيما بعد ٭

ولنا أن نتأمّل في أنّ مار فرنسيس كما
اصلح ثلاث كنائس قبلما شاد بنيان
رهبنته كذلك اصلح البيعة المحاربة عروسة
المسيح بثلاث رهبنات . اقامهنّ فيها
كبنايا روحية ٭

هذا وإنّ العسكر الجديد المصوي تحت
راية المسيح في البيعة المذكورة كان منعكفا
على الصلوة الدائمة نهاراً وليلاً . وكانوا
يتضرعون بحرارة عظيمة وبدموع غزيرة
الى سلطانة الملائكة لتتشفع فيهم وتمدّهم
بعونها ليقضوا وطرهم المقدّس ، ولعمري
انّه بمساعدة العذرآء التي حملت وولدت
الكلمة الازلي حبل هذا القديس الحليا
بروح الانجيل وولد الحيوة الروحية الرسلية
المحدودة في قانون رهبنته ❊

—❊❊❊—

الفصل الحادي عشر

في سلوكه بالمشورات الانجيلية والعيشة الرسلية ومبادئ رهبنته

كان يوماً فرنسيس حاضراً قداس الرسل. فلما سمع عند قرآءة الانجيل أن المسيح امر الرسل أن ينطلقوا الى أقطار العالم اتخذ كلام الانجيل لنفسه كأن ملاكاً من السماء اتاه وارشده بنور الاهي ❊ وحينئذٍ ترك الحذاء والعصا والدراهم . واكتفى بثوبٍ فقريٍ . وبدل منطقة الجلد بزنار . وهكذا ابتدأ الحيوة الرسلية . فكان يعظ الناس ويحثهم على التوبة بكلام مفهوم غير مصنّع وكان

خطابه يؤثر في قلوب السامعين وانذارهُ ينفذ أحشاءهم ۞ وبهذا الوعظ لا بمثال سيرته ردّ الى الربّ خطاةً كثيرين . والبعض منهم تركوا جميع القضايا الزائلة . وحذوا حذوهُ في شكل اللباس ونوع العيشة ۞

ومن جملة الذين تبعوهُ كان بكرهم برنردس الذي من كنتابلّي . هذا ولهُ صار فرنسيس بالمسيح . وكان رجلاً كاملاً ۞

ثمّ إنّ القدّيس فرنسيس كان مواظباً على الانذار بالمسيح بحرارة اعظم . فاذ كان مارّاً في الطريق لقي رجلاً آخر اسمه

بطرس . هذا كان قد سمع اوصاف
فرنسيس فتشوّق أن يتبعهُ في سيرتهِ .
فانطلق معًا فرنسيس وبرنردس وبطرس
الى الكنيسة . فلمّا انتهوا اليها وسمعوا
القدّاس طلب فرنسيس من الكاهن أن
يفتح كتاب القدّاس . ففتحهُ . فاذا هم
بقول المسيح في الفصل التاسع عشر من
انجيل متّى اي : إن اردتَ أن تكون كاملًا
فاذهب وبِع كل مالك واعطِهِ للمساكين
فيكون لك كنزٌ في السمآء . وتعال اتبعني ☼
فلمّا راى فرنسيس ذلك فرح فرحًا عظيمًا .
وشكر الله . وسألهُ أن يثبّتهم جميعًا

ارادته على القانون الذي ارادهُ منهم * ثم فتحوا الكتاب ثانيةً فوجدوا قول المسيح لتلاميذه في الفصل العاشر من متى: لا تملكوا ذهبًا ولا فضةً ولا نحاسًا في مناطقكم . ولا همياناً في الطريق . ولا ثوبين ولا احذيةً ولا عصاً * ثم فتحوا الكتاب مرةً ثالثةً إكرامًا للثالوث المقدس فوجدوا قول المسيح في الفصل ١٦ من متى: من اراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني * وعند ذلك التفت فرنسيس الى برنردس وبطرس وقال لهما: يا اخوتي قد سمعتم قانوننا. فان اردتم

أن تمسكوه فاذهبوا واعملوا بموجب ما سمعتم * فاستاذنا للوقت . وذهبا الى بوتهما . وباعا جميع أملاكهما وأموالهما وقسموها على الفقرآء . ورجعا الى فرنسيس . فالبسهما ثياب الرهبنة . وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر نيسان سنة تسع ومايتين والف للمسيح اي بعدما ترهب فرنسيس بسنة * وقيل إن ابتدآء رهبنة مار فرنسيس كان في اليوم الذي اجمع ثلاثتهم على قانون واحد . فانقطعوا الى بريةٍ خارجا المدينة لا انس فيها . وكان فرنسيس يعلّمهم فضائل الفقر

والتواضع والصلوة التي هي اساس الرهبنة *

الفصل الثاني عشر

في ارشاده للتلاميذ وفي افتراقهم للوعظ

وبعد ذلك شاع خبر هذين الرجلين ، لأنهما كانا من الأغنيا ، فاذ سمع بهما كثيرٌ من الاكابر تبعوهما * منهم واحدٌ اسمه برناردوس ، هذا لم يكن في المدينة لما باعا اموالهما واعطياها للفقرآء ، وكان يفتش عليهما ، ولا يدري مكانهما ، فتوسل الى الله ، وخرج ماشياً حتى وجدهما * فلما رآه فرنسيس وعلم انه جاء بنيّة صادقة قال له:

يا اخي اعلم أنّ رحمة الله العظيمة حلّت عليك . لانّهُ جعلك من عبيدهِ * ثمّ ذهبوا الى المدينة ليفصلوا الدُّنوب الرهبنة . فتلاقوا في الطريق مع امرأةٍ فقيرةٍ . فطلبت منهم صدقةً . فالتفت فرنسيس الى ايجيديوس وامرهُ أن يتصدّق عليها بردائهِ . فامتثل في الحال لامرهِ بفرحٍ عظيمٍ *

وبعد ما تبعهم من عظماء المدينة اربعة رجالٍ . فصار عدد الرهبان ثمانية . وابتعد منهم فرنسيس يوماً وانفرد عنهم في البرّيّة ليصلّي وحدهُ ويستغفر الله لنفسهِ ولاخوتهِ في السلوك . وفي الصلوة امتلأ قلبهُ من

سرور الروح القدس . وأوحي اليه بتأكيد
أنّ الله قد غفر له ولاخوته خطاياهم .
ثم عاد اليهم . وبشرهم بما عرض له في
صلاته . وقال لا تجزعوا لاننا اليوم قليلون .
فانّ الله قد اوحي اليّ أنّ جماعتنا ستبلغ
في الكثرة مقدارًا جزيلاً . وسيصنعون
المعجزات والكرامات والغرائب في العالم
بتواضعهم وفقرهم وهجرهم للدنيا ولذاتها
وفي الاخير سينالون الملكوت . فشجّع
قلوبهم واحتدّوا في خدمة الله . وامرهم
مرتين أن ينطلقوا ويكرزوا في العالم
ويعلّموا بشارة الانجيل والملكوت والتوبة .

وكلّمهم بمنافع الزهد والعبادة وهجر الدنيا
وشهوات الجسد · ورغّبهم في الطاعة
والانقطاع عن الصحبة العالميّة والاشتغال
بخدمة الله واحتمال الصليب والشدائد
التي تلمّ بهم في طريق الله · وقال لهم قول
داود النبي في المزمور الرابع والخمسين :
القِ على الربّ همّك · وهو يعولك · ولا يدع
الصدّيق اضطرابًا الى الابد * فلمّا فرغ
من كلامه افترقوا بعضهم من بعض ·
ومضى فرنسيس مع واحدٍ منهم * وحدث
لبرنردس ورفيقه لمّا وصلا الى مدينة
من المدن أنّهما ما وجدا مَن ينزلهما

في بيتهِ لِيناما عندهُ . لانهم ظنّوهما لصّين دخلا بهذه الصورة ليحتالا على الناس فباتا في الشارع تحت دار ذلك الرجل الذي لم يقبلهما عندهُ . وكابدا بردًا شديدًا في تلك الليلة . لانه كان فصل الشتاء وحمدا الربّ وشكراهُ * فلمّا اصبحا مضيا ليسمعا القدّاس . واتفق أنّ صاحبة ذلك البيت الذي ناما تحتهُ كانت في القدّاس فعرفتهما وقالت في نفسها : بالحقيقة ليس هذان الرجلان من اللصوص كما ظننّا انا وزوجي * وتعجّب منهم كل من كان في البيعة ومن لباسهم . وزاد تعجّبهم

القانون الواجب عليهم حفظهُ في هذا الشان . وقسمهُ الى اثني عشر قسمًا كما سيأتيك تفصيلهُ في الرسوم الآتية

— الرسم الأوّل —

في فاتحة القانون وسيرة الرهبان الصغار

إنّ العيشة المرسومة على الاخوة الصغار (١) هي أَن يتمسّكوا بتعليم انجيل يسوع المسيح بالطاعة والفقر الاختياريّ والعفّة . فالاخ فرنسيس ينذر الطاعة والاحترام للحبر الاعظم هنوريوس ولخلفائهِ

(١) المراد بالاخوة الصغار رهبان مار فرنسيس . وانّما سُمّوا بهذا الاسم من قبيل الاتضاع

الذين يجلسون بعدهُ في البيعة الرومانيّة
والاخوة الاخر يلتزمون بالطاعة للاخ
فرنسيس ولخلفائهِ ☼

— الرسم الثاني —

في شروط اتخاذ هذه السيرة ووجه دخولها

الذين يرومون ان يتمسّكوا بهذه السيرة
فليتقدموا الى اخوتنا . والاخوة يرسلونهم الى
رؤساء الاقاليم المختصّة بإدخال الاخوة
الأحداث . ويجب على الرؤساء أن
يفحصوهم باجتهاد فيما يختصّ الايمان
الكاثوليكي وأسرار الكنيسة . فإن كانوا
يؤمنون بهذه الأشياء ويقرّون بها بثبات

الى الموت يجب على الرؤساء أن يامروهم
بالقول الانجيلي أن يذهبوا ويبيعوا جميع
أملاكهم ويعطوها للمساكين . وإن لم
يمكنهم ذلك فتكفيهم الارادة الصالحة . وذلك
سوآء كانوا بتوليين ام متزوّجين . غير أن
المتزوّج يجب أن تكون امرأتهُ قد دخلت في
دير من اديرة الراهبات وحقًّا قد اخذ اجازة
من مطران الابرشيّة بعد نذرِ العفّة . او تكون
امرأتهُ قد طعنت في السنّ ولا ينتج
منها تشكيك ٭
ولبعد الاخوة ورؤساؤهم من الطمع في
الخيرات الدنيويّة . وليدبّروا مالهم بكل

حرّيّة مثلما يلهمهم الربّ ، ومع هذا فاذا
طلبوا مشورة نأذن للرؤسآء أن يرسلوهم الى
بعض الناس الذين يخافون الله وبحسب
مشورتهم يفرّق مالهم على الفقرآء ☼
وبعد ذلك يجب على الرؤسآء أن
يعطوهم ثوب الامتحان اي كسائين من
دون قباعة والزنّار والثبّان والكبرونة فقط ،
ماعدا اشيآء اخر تبان للرؤسآء أنّها لازمة ☼
وعند انقضآء سنة التجربة فليكونوا مقبولين
في الطاعة ، وإن نذروا التمسّك بهذه
السيرة وبهذا القانون فلا يجوز لهم البتّة أن
يخرجوا من الرهبنة حتّى الموت بمقتضى

وصية الحبر الروماني وقول المسيح في
الانجيل المقدّس : ما من احد يضع يده
على المحراث ويلتفت الى ورآئه يكون
مستحقًّا لملكوت السمآء ❊

والذين قد نذروا الطاعة فليلبسوا ردآءً
واحدًا بقباعةٍ وواحدًا آخر بلا قباعة بحسب
الاختيار ، ومن كان له سبب كافٍ يجوز له
أن يلبس حذآءً وجوارب ❊

ويجب على كلّ الاخوة أن يلبسوا لباسًا
دنيًّا ويرقّعوهُ بثوبٍ من جنسه او بنوعٍ آخر
ببركة الله ❊ وانا انصحهم أن لا يحقروا
الناس الذين يرونهم لابسين لباسًا ناعمًا

ملوّنًا ومتنعّمين بالاطعمة والاشربة اللذيذة ولا يدينوهم . بل ليدينوا انفسهم ويحقّروا ذواتهم ☼

— الرسم الثالث —

في الفرض الالهي والصوم وفي انطلاق الاخوة الى العالم

يجب على الاخوة الاكليريكيين أن يتلوا الفرض الالهي كترتيب الكنيسة الرومانيّة المقدّسة فيجوز لهم أن يقتنوا كتاب الفرض ☼ واما الاخوة الغير المقامين لخدمة الكنيسة فيجب عليهم أن يتلوا اربعًا وعشرين مرّة ابانا الذي عوض صلاة الليل وخمس

مرّات ابانا الذي عوض التسابيح • وسبع
مرّات ابانا الذي عوض الساعة الاولى
وكذلك ايضًا سبع مرّات عوض كلٍّ واحدة
من الثالثة والسادسة والتاسعة • وعشر
مرّات عوض صلاة الغروب • وسبع مرّات
عوّض صلاة الستار • ويصلّوا من اجل
الموتى *

وليصوموا من عيد جميع القدّيسين
اي اوّل يومٍ من تشرين الثاني الى عيد
الميلاد * والصوم الذي يبتدئ من عيد
الدنح وينتهي عند صوم الاربعين هو
للمسيح • والمسيح لهُ المجد قد قدّس هذا

الصوم بصومه . فالذين يصومونه يبارك
الله عليهم . والذين لا يصومونه فلا حرج
عليهم * وصوم قيامة المسيح فرض على
كل واحد * ومن غير هذه الاصوام فلم
يُفرض على الاخوة الصوم الّا يوم الجمعة *
واشير على اخوتي بالمسيح أن لا يتشاجروا
بالكلام عندما يسافرون في الدنيا . ولا
يحكموا على احدٍ . بل يكونوا محبّين
متواضعين . يكلّمون كلّ احدٍ بالكلام الطيّب
اللّين . ولا يركبوا الدواب الّا وقت الضرورة .
ومتى ما دخلوا بيتًا فليقولوا السلام لاهل
البيت وياكلوا ما يقدَّم لهم كقول الانجيل *

— الرسم الرابع —

في تحريم الدراهم

اوصيت كلّ الاخوة وصيّة ثانية أن لا يملكوا الدراهم بيدهم ولا بيد غيرهم * ولكنّ الرؤساء يكلّفون بهذا الامر الاصدقاء الروحيّين من سبب المرض وثياب الاخوة بحسب اقتضاء الزمان والمكان والبلاد البادرة كما علموا بالتجربة * ومع هذه الأمور فلا يقبلوا الدراهم *

— الرسم الخامس —

في الاشتغال

انّ الرهبان الذين انعم الله عليهم بقدرة

ليشتغلوا فليشتغلوا . لكي تزول البطالة عنهم . ولا تنطفي فيهم روح الصلوة ❊ ويجب أن تكون جميع الأشغال خادمة لروح الصلوة والعبادة وليأخذوا اجرة شغلهم للحوائج الضرورية للجسد ولاخوتهم الّا الدراهم . وليأخذوها بتواضع . كما يليق بعبيد الله ومحبّي الفقر ❊

— الرسم السادس —

في نهي الاخوة عن الامتلاك وفي التسوّل وفي مرض الاخوة

لا يجوز للاخوة أن يخصّصوا لانفسهم شيئًا . لا بالكلية لا بيتًا ولا مكانًا ولا

شيئًا آخر البتة . بل ليطلبوا الصدقة في العالم بالتواضع اللائق لعباد الله . ولا يخجلوا من طلب الصدقة . لان المسيح افتقر نفسهُ من اجلنا * وهذا فضل الفقر وكرامتهُ . ثم إن الفقر يا اخوتي يجعلكم وارثين ملكوت السماء بترككم فقرآء من مال الدنيا واغنيآء بالفضائل * ثم إن الفقر هو نصيبكم الذي يهدي الى ارض الاحيآء فاعتصموا انتم بهِ . ولا تطلبوا تحت السمآء شيئًا سواهُ من اجل اسم المسيح * وحيثما كانت الاخوة . فليصطحبوا بعضهم بعضًا وليتخابروا في ضروريّاتهم . لان الام تحب

اولادنا بالجسد . وهكذا ليحبّ الراهب
اخاهُ بالروح * واذا مرض احدهم فلتخدمهُ
الاخوة مثلما يحبّون أن يُخدَموا *

— الرسم السابع —

في وضع القانون على من اخطا

إن اخطأ أحد الاخوة بتجربةٍ شيطانيّةٍ
وبخطيّةٍ مميتة بمخالفة الاشيآء المرسومة
عليهم . فيجب عليهِ أن ينطلق الى الرئيس
البلديّ بلا توانٍ . فان كان الرئيس كاهنًا
فليرسم عليهِ القانون بالشفقة . وان لم
يكن كاهنًا فليرسلهُ الى كاهن من الرهبان
ليرسم عليهِ القانون * وليحذر الرؤساء

من أن يبغضوا احدًا من سبب الخطية. لانّ البغض يمنع الرحمة ✻

— الرسم الثامن —

في انتخاب الرئيس

فليكن لجميع الاخوة رئيسٌ من هذه الرهبنة يكون عبدًا لهم. وليطيعوهُ في كلّ شيءٍ ✻ واذا توفّي فلينتخب الرؤساء البلديّون واحدًا مكانهُ مع الرعاة. ويصير هذا المجمع في عيد العنصرة. فيجب على جميع الرؤساء الاقليميّين أن ياتوا ويجتمعوا الى المحلّ الذي يعيّنهُ لهم الرئيس الكبير. وذلك في كلّ ثلاث سنين او اكثر او اقلّ كما يرسم

الرئيس الكبير * فان رات روَساء الاقاليم والرعاة وعلمت أَنّ ذلك الرئيس ليس كافيًا للخدمة ولافادة الرهبان العموميّة فباسم الله لينتخبوا راعيًا آخر * وبعد مجمع عيد العنصرة فكلّ واحدٍ من روَساء الاقاليم يقدرون أَن يجمعوا رهبانهم تلك السنة في بلدهم مرّةً واحدةً إن راوا ذلك موافقًا *

— الرسم التاسع —

في الكواريز

لا تكرز الاخوة في بلاد المطران او الاسقف بغير ارادته ، ولا يكرزوا الّا بعدما جُرّبوا وأُعطوا الاجازة بالكرز * واشير على الواعظين

أن يتروّأوا في كلامهم ويتفحصوه ليكون نافعاً للناس. وليعظوهم في الرذائل والفضائل والثواب والعقاب بكلام مفهوم مختصر. لانّ المسيح كان هذا دابه عندما انذر على الارض بكلامه الطاهر ❊

— الرسم العاشر —

في نصيحة الاخوة

فليفحص الروساء الذين هم خدّام الاخوة بل عبيدهم أحوال الاخوة الذين تقلّدوا تدبيرهم. ويذكّروهم. وينصحوهم. ويعاقبوهم بالتواضع والرافة. ولا يامروهم بما يخالف خلاص نفسهم وقانوننا ❊ ويجب على

الاخوة الذين هم تحت ضبط الرئيس أَن يذكروا أَنَّهم تركوا من اجل حبّ الله ☼ وهذي هي وصيّتي أَن يطيعوا رؤساءهم بكلّ ما وعدوا الله تعالى بحفظهِ . ممّا لا يخالف خلاص نفسهم ولا القانون ☼ وحيثما كانت الاخوة وعلموا أَنّهُ لا يمكنهم العمل بموجب القانون فليذهبوا الى الرؤساء . ولتقبلهم الرؤساء بكلام ليّن لطيف . حتّى تبقى معهم الاخوة كما تبقى الموالي مع العبيد . اي كان الرؤساء هم عبيدٌ للاخوة جميعًا ☼

فانا اشير على اخوتي وانصحهم أَن

يحذروا من الكبرياء والفخر الباطل والحسد والبخل والحرص على الدنيا والسبّ والتشكّي . ومن كان جاهلاً في العلم الدنيوي فلا يهتمّن بتحصيله * بل ليجتهدوا أن يكون فيهم روح المسيح والافعال القدسيّة ويطلبوهُ بصفاوة القلب متّضعين * وليصبروا على الاضطهاد والمرض . ويحبّوا كلّ من يشتمهم ويضطهدهم . فانّ المسيح قد قال: احبّوا أعداءكم وصلّوا على مَن يطردكم ويسبكم . وقال ايضًا : طوبى للذين يصبرون على الطرد من اجل البرّ فانّ لهم ملكوت السماء *

— الرسم الحادي عشر —

في منع الرهبان من دخول اديرة الراهبات

اوصي كل الاخوة وصيةً عظيمةً أن لا يعاشروا النسآء بحيث يظهر الشكّ عنهم . ولا يدخلوا اديرة الراهبات الّا الذين لهم اذنٌ مخصوصٌ من الكرسي الرسولي * ولا يصيرنّ احدٌ منهم شبينًا في العماد لا من الرجال ولا من النسآء لئلا يظهر من ذلك تشكيك للاخوة وللاخوات *

— الرسم الثاني عشر —

في الذين ينطلقون الى بلاد الكفرة

ايما اخ من الاخوة الهمهُ الله بان ينطلق

الفصل الرابع عشر

في تحريض فرنسيس تلاميذهُ على القانون

بعد ما فرغ القدّيس من رسم القانون رغّب قلوب تلاميذهِ وحثّهم على حفظ كلّ ما ذكرهُ لهم قائلاً : لا ننسَ يا اخوتي أنّنا الزمنا انفسنا بامورٍ صعبةٍ عظيمةٍ . فلنفتكر حسنًا أنّ الله سيخوّلنا اشياءَ جليلة * لقد الزمنا انفسنا بترك الدنيا ولذّات الجسد فالله تعالى سيمنحنا عوض ذلك سرور الجنّة ونعيمها . فلنتذكّر يا اخوتي قول المسيح ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّهُ وخسر نفسهُ . واي شيءٍ يستفاد من سرور الدنيا

ونعيمها ☼ والآن فلنحبّ اعدآءنا كما علّمنا المسيح ونحسن اليهم . ونجعل من يبغضنا صاحبًا لنا كقول الربّ ليهوذا المسلّم يا صاحب . ويجب أن نحبّ الذي يؤذينا ويعيّرنا ويسبّنا . فانّ الله يعاملنا هكذا ليهدينا الى الملكوت ☼ ويجب أن نبغض أجسادنا التي تهوى اللذّات وأفراح هذه الحيوة الزائلة . فانّ هذا الهوى يحرمنا محبّة الله ويوهّلنا لنار جهنّم ☼ ولنحذر أن نتشبّه بالارض المحجرة . والزرع المقدّس هو كلام الله . ولانّنا تركنا كلّ شيء من اجل كلام الله فينبغي لنا أن نحذر كلّ الحذر من

الشيطان . لانه يجتهد أن يربي في قلوبنا
حبّ الدنيا والميل الى لذّاتها . ويصدنا
بذلك ويضلّنا عن طريق الله . واذ كنّا
نعرف حيل الشيطان هذه فلنحترس كلّ
الاحتراس . لئلّا نتباعد من ربّنا يسوع
المسيح . ولا نخرص الآعلى كلامه وعلى
حبّه ۞ واسال جميع اخوتنا أن يخدموا الله
بطهارة القلب . ويحبّوه من كلّ قلبهم
ونفسهم ۞ وانتم اجمعون اخوة . لانّ لكم ابًا
واحدًا في السماء الذي نحن عليه متّكلون ۞

الفصل الخامس عشر

في انطلاقهم الى البابا لاجازة القانون

وبعدما فرغ فرنسيس من كلامه انتقل مع تلاميذه من مدينة اسيسيا الى البابا . لكي يلتمسوا منه اجازة القانون الموسوم بالهام الروح القدس * وانّ فرنسيس اذ كان في السفر رأى رؤيا شجرة عظيمة باسقة فلمّا وصل اليها ارتفع الى اعالي هذه الشجرة بقوة الله . وكانت أغصانها مائلة نحو الارض فلمّا استيقظ من نومه اخبر تلاميذه بالرؤيا . وفسّرها لهم قائلاً : ان البابا سيقبله بحسن القبول * وبهذا الرجاء قصدوا رومة

بعسر على الانسان حمله من شدّة الفقر والزهد الذي فيه . فقال واحد منهم إن تأمّلنا حقيقة ما التمس منّا هذا الفقير نراه موافقًا للانجيل المقدس لانه ما طلب منا شيئًا غير مذكور في أعمال المسيح وتلاميذه ومن زعم أنّ حفظ الانجيل ما هو في قدرة الانسان كفره بذنب على المسيح صاحب الانجيل ❊ فلما سمع البابا هذا الكلام ثبّت قانون مار فرنسيس واجازه . واذن له ان يكرز بالانجيل في كل العالم . فتقدّم فرنسيس وتلاميذه وتعاهدوا مع الله بين يدي البابا . والزموا نفوسهم بحفظ

الانجيل * ونصب البابا مارفرنسيس راساً
لكل من يتبع هذا القانون

الفصل السادس عشر

في هداية الرب لهم في الطريق
وغيرتهم على خلاص النفوس

فانصرفوا من عند البابا ومضوا الى ارضهم
وهم يبشرون في المدن والقرى ويكرزون
بالملكوت والتوبة • وحدث أنهم وصلوا
الى برية منقطعة وليس عندهم خبز لياكلوا •
فظهر لهم رجل بري مسافر وتصدق
عليهم بخبز وغاب عنهم • فالتفتوا ولم
يروهُ • فتحققوا أن الله يهتم بهم ويرزقهم •

ولذلك عزموا أَن لا يتركوا هذا الفقر الذي نذروهُ للّه ابدًا · فافتكروا في ايّما هو خير لهم الاقامة في البراري ام في البلاد لمنفعة الناس · فصلّى مار فرنسيس على هذه النيّة · فالهمهُ الله أَنَّهُ مُرسل الى العالم ليجذب ويخلّص كثيرًا من الناس ويوصّلهم الى الجنّة · كما انّ الشيطان يجتهد أَن يهلك كثيرين ويلقيهم في جهنّم النار · فاذ تحقّق مار فرنسيس المقصود جاءَ فسكن مع تلاميذهِ في بيت صغير بقرب مدينة اسّيسيا · وكانوا هناك مواظبين على الصلوة والعبادة ياكلون من صدقات

الناس . وفي هذا البيت كان القدّيس
يعلّمهم الصلوة العقليّة ليتأمّلوا في أعمال
المسيح ويقتدوا بها ويشكروا الرب على ما
انعم به عليهم اذ خلّصهم من الدنيا
واختصّهم لذاته ولخدمته . وكان يعلّمهم
قائلاً: اكرموا الكهنة إكراماً خصوصيّاً .
واعتقدوا متيقّنين بمعتقد الكنيسة
الرومانيّة . والبثوا فيه الى الموت . واذا مررتم
بكنيسة ما فخرّوا على الارض قائلين:
نسجد لك يا ربّنا يسوع المسيح ههنا وفي
سائر الكنائس . لانك خلّصت العالم وفديته
بدمك الكريم ☼ وفي كلّ يوم احد كان صار

فرنسيس يمضي الى المدينة ويكرز في كنائسها . فمضى في احد الأيام ليكرز كعادته . فرأى تلاميذه شخصهُ في نصف الليل وهو جالسٌ على عجلةٍ نوري كالنار محاطٍ بسحابةٍ مضيئةٍ كالشمس . فاستنار البيت من النور وصار كنصف النهار وطاف البيت بالعجلة ثلاث مرات . فامتلأت قلوبهم من فرح الروح القدس ومن هذه الرويا علموا أنّ القديس مع كونه غائبًا عنهم بالجسد فهو قريبٌ بالروح مهتمّ بامورهم في غيابهِ كاهتمامهِ بهم حين حضورهِ معهم ❊

الفصل السابع عشر

في أن مار فرنسيس طلب كنيسة السيلخ لتكون راسًا لجميع كنائسه

وبعدما سكنوا مقدار سنة في هذا البيت ارتحلوا منه لانه كان ضيقًا عليهم . فأتوا الى مطران المدينة ، وطلبوا منه كنيسة . فابى المطران وقال : ليس تحت يدي كنيسة اعطيكم اياها . فخرجوا ومضوا الى بعض القسوس الأغنياء فجاوبوهم كذلك . ثم ذهب مار فرنسيس الى دير من أديرة مار بندكتس . واخبر رئيسهم بجواب المطران والقسوس . وطلب منه كنيسة

من كنائسهم . فاجاب الرئيس مع
الرهبان الى ذلك . واعطوهُ كنيسة سيّدة
الملئكة الملقّبة بكنيسة السيّدة الصغيرة بشرط
أن تكون هذه الكنيسة راس جميع الكنائس
في رهبنته . فرضي بذلك . وشكر احسانهُ
وفرح فرحًا عظيمًا بحصول هذه الكنيسة لهُ
ولرهبانه . وذلك لكثرة محبّته لمريم العذراء
لانّ الكنيسة كانت مسمّاة على اسمها .
واقام فيها مدّة حياته كلّها . وكان كلّ سنة
يرسل الى رهبان مار بندكتس زنبيلاً من
السمك كانوا يصطادونه من نهر مجاورٍ لدارهم
انّما كان يفعل هكذا ليفهّم تلاميذهُ ورهبانه

أَنَّهم لا يملكون شيئًا في الارض وأَنَّ كنيستهم
التي يسكنونها ليست لهم ويعطي كراها
لصاحبها ، وكان الرهبان عوضًا عن
السمك يتصدّقون عليهم كلّ سنة بجرّة
زيت ✻ وفي مدّة اقامته مع رهبانه في هذه
الكنيسة كانوا مشتغلين في عبادة الله
حتّى انتشر صيتهم في كلّ البلاد وعند الاكابر
والاغنياء عزم رجال منهم أَن يتبعوا رهبنتهم ،
منهم سلوستراس ، فهذا كان حاضرًا لما
انفق برنردوس مالهُ على الفقرآء فقال لمار
فرنسيس اعطني ثمن الحجارة التي اخذها
منّي لتعمير الكنائس ، فتعجّب القدّيس

من هذا الطلب . واخذ مقدارًا من الدراهم من كيس برنردوس واعطاهُ اياه وقال له: هل تريد ازيد من هذا . فقال لا ياسيدي . وجاء الى بيتهِ متفكرًا في سخا برنردوس واحتقارهِ للدراهم . وبهذا الفكر ندم ندامةً شديدة على عملهِ هذا . ووبخ نفسهُ على بخلهِ . فراى سلوستراس في نومهِ لثلث ليالٍ متوالية تنينًا يطوف مدينة اسّيسيا ويلتمس ابتلاع اهلها واهلاكهم . فخرج من فم مار فرنسيس صليبٌ من ذهب ابريزي علوّهُ يصل الى السموات واطرافهُ واصلةً الى الارض . فاذ

راى التنين ذلك الصليب هرب من المدينة . فانتبه سلوستراس وذهب الى مارفرنسيس واخبره بالحلم . واعترف له بخطاياه ودخل الرهبنة . وهو الثاني عشر من تلاميذه *

وكان في ذلك الحين في مدينة اسيسيا رجلٌ مريض بمرض شديد اعجزت معالجته الاطبآء فحكموا بموته . فهذا لما سمع اخبار مارفرنسيس فارسل يسال ان يصلي الى الله ليرفع عنه المرض . فاخذ مارفرنسيس كسرةً من الخبز ومضى الى الكنيسة وغمسها في زيت القنديل

فهذا الثور هو اجرتي من مال ابي فتصرّف
بهِ كما تشآ . فلمّا بلغ ابويهِ ما فعل انيا
فوجداهُ عند مار فرنسيس . فاخبراهُ بفقرهما
وٱحتياجهما وأنّ ابنهما يخدم ويكسب
الخبز . فقال لهما : اشكرا الله واحمداهُ
الذي احسن اليكما والى قبيلتكما بتولدٍ
واحدًا منكم بين عبيدهِ . ولكن لكونكم
فقرآء يردّ الثور لكم . ففرحا لمّا سمعا ذلك .
واخذا الثور ورجعا الى بيتهما ۞

ثمّ جاء رجل آخر ليترهّب . فقال
لهُ فرنسيس قول الانجيل : اذهب وبع
كلّ مالك وملكك واعطهِ للفقرآء .

فمضى وفرّق ماله كلّه على اهلهِ واقاربهِ ، واتى الى ابو القدّيس بما فعل ، فاجابه اذهب عند اقاربك لأنّك ما تركت حبّهم . ومن لا يترك حبّ اقربائهِ فلا يستحقّ الرهبنة ومخالطة الاخوة ، فرجع الى بيوت اقربائه ❊

وهكذا كانت الناس تجتمع من البلاد والقرى الى رهبنتهِ ، لأنّهُ كان يرسل رهبانه ليكرزوا ببشارة الانجيل ، وكان كلّ من ينظر اليهم يحبّهم ويتحرّك قلبه ويميل لحفظ الانجيل ومشوراتهِ التي ذكرها المسيح من الفقر وترك الدنيا واحتمال المصائب

والصبر على الشدائد في طريق الله ☼

الفصل الثامن عشر

في اجتماعهم للمذاكرة الروحية وظهور المسيح لهم

فتحقّق مارفرنسيس أنّ الله اقامهُ لتخليص تلاميذه والناس. فكان يتكلّم معهم ويعلّمهم كيف تستفيد منهم الناس. وحين الاجتماع للمذاكرة كان يامرهم أن يتكلّم كلّ واحد بما الهمهُ الله عن الملكوت والفضائل والأشياء اللازمة لافادة الناس من كلامهم وأفعالهم . وكانوا يتكلّمون بأسرارٍ دقيقة حتّى كانوا يتعجّبون بعضهم من بعضٍ، واذ كانوا ذات يومٍ مجتمعين ظهر

لهم المسيح بصورة شابٍّ حسن وجلس بينهم وباركهم. فلمّا شاهدوهُ أُغميَ عليهم من شدّة الفرح الروحي الذى حصل لهم من بركة المسيح. ولمّا صحَوُا كلّهم صار فرنسيس قائلًا: نشكر ربّنا يسوع المسيح الذي ظهر لنا اليوم ليعلّمنا أنّهُ راضٍ بسلوكنا هذا. ونرجوهُ أَنْ يمنحنا القوّة والمعونة لنبلغ غايتهُ. وحين امتلائهم من مواهب الروح القدس في الصلوة فكانوا يخرجون من كنيسة السيّدة ويطوفون بين الناس ليشركوهم في المواهب الروحانيّة. ثمّ يعودون الى بيتهم ويخبرون بعضهم بعضًا بما صنعوا

من الخير مع الناس * وكانت بينهم المحبّة
بغاية الكمال . حتّى كان جميعهم بقلبٍ
واحد ونفسٍ واحدةٍ . ويحبّون أن يموتوا عوض
بعضهم بعض * واتّفق لاثنين منهم
حينما كانا مسافرين أنّهما طلع عليهما
رجل وصار يرجمهما بالحجارة . فتقدّم
الواحد منهما وجعل يستلقي الحجارة عن
رفيقهِ لئلاّ تصل اليهِ * ولكثرة محبّتهم بعضهم
لبعضٍ ما كان لهم شيء مخصوص بل كان
كل شي شائعًا بينهم واذا زارهم احد الناس
قبلوهُ بكل رضى واكرامٍ . وصادقوهُ لكي
يذكروهُ الامور الروحانيّة لعلّهُ يرجع عن حبّ

الدنيا والخطايا الى التوبة * وكانوا كلما عزم مار فرنسيس على إرسالهم ليكرزوا في المدن والقرى او لسببٍ آخر يتوسّلون اليه ان لا يرسلهم الى بلادهم لئلّا يتغافلوا عن الصلوة والعبادة الروحيّة ، وتميل قلوبهم الى محبّة الاهل بعدما تركوهم وترهّبوا ، وتضعف محبّة الله في قلوبهم ويضجروا من الصلوة والعبادة * وكانوا عند وصولهم الى بلد او قرية يدخلون اوّلاً الى الكنيسة ليصلّوا فيها واوصاهم ان يكنسوا الكنائس وينظّفوها ويزيّنوا المذابح لتعتاد قلوبهم على التواضع واكرام الكنائس التي هي

بيوت الله ويجذبوا بهذا قلوب الآخرين *

الفصل التاسع عشر

في أنّ مار فرنسيس كان يرشد تلاميذهُ ويروّضهم بكسر ارادتهم وتقشيفهم

وكان فرنسيس يعلّم أنّ المثل يميّل الناس الى الامور الصعبة اكثر من الكلام الذي ما يأثر في قلوب السامعين الّا قليلا . وخصوصًا اذا كان المتكلّم غير عاملٍ بما يقولهُ كما قيل في أعمال الرسل عن المسيح انه بدأ أن يعمل ثمّ يعلّم * هكذا علّم رهبانهُ وذكّرهم ما قالهُ بولس الرسول لاهل غلاطية (٥ : ٢٤) الذين هم للمسيح فقد صلبوا

اجسادهم وشهواتهم . ولهذا كان القدّيس
فرنسيس يعذّب جسدهُ لئلّا يتلذّذ بشيءٍ
ويمنعهُ من الاكل والشّرب واللّباس والمرقد .
وكان يقول لهم : يعسر على الانسان أن
يعطي للجسد ضروريّاته المذكورة ولا يعطي
شيئاً للشهوة ۞

وفي اوّل اجتماع الرهبان الى الاديرة كانوا
ياكلون الحشائش في الازمنة المعيّنة ۞ ومأكل
مار فرنسيس كان الخبز والماء . وكان اذا
حضر شيءٌ مطبوخ من البقول والحشائش
يمزجهُ بقليل من المآء البارد والرماد ليمنع
تلذذ الشّهوة . ومائدته كانت الارض ۞

فقسّم اذاً صيامات السنة على المنوال الذي نشرحهُ الان ، فوضع اوّلاً صوم المسيح من عيد الغطاس الى اربعين يوماً ، ثم الصوم الكبير ثم بعد عيد الفصح بقليل صوم الروح القدس الى عيد العنصرة ، ثم صوم الرسل اربعين يوماً ، ثمّ اربعين يوماً لعيد العنصرة ، ثم لعيد ماريخائيل صوم اربعين يوماً ايضاً ثم صوم الميلاد ، وهو الاخير ، واوصاهم ان يصوموهُ من شهر تشرين الاوّل الى عيد الميلاد * وكان يلبس ثوباً واحداً ، وفراشه التراب ، ووسادتهُ الحجر ، وكان يفعل ذلك لئلّا تميل نفسهُ الى

الشهوات الدنيويّة، لانّ الشيطان يقدر
على الذين ياكلون الاطعمة الطيّبة
ويلبسون الثياب الناعمة * واعلم أنّ
القدّيس فرنسيس عند موته استغفر من
جسده قائلاً : لا تواخذني على تعذيبي
ايّاك بالنسك والرياضات ، فانّي ما
قصدتُ الّا الاصلاح * ومع كلّ هذا النسك
فما كان يسمح لتلاميذه ان يتبعوهُ في ذلك
قائلاً: إنّ حالة النسك والرّياضة التي تخصّ
كلّ واحدٍ أن يضعف جسده بها يجب
أن تكون بحيث يستطيع أن يخدم الروح
ولا يخالفهُ * واتّفق لفرنسيس أنّهُ ليلةً سمع

صوت راهبٍ يشكو ويصيح فنهض من مكانهِ . وذهبَ وسالهُ عن السبب . فقال الجوع قد ادركني ولا اقدر أن اتمالك فللوقت امر بإحضار ما تيسّر من الطعام والشراب . فأكل الراهب . وامر فرنسيس الرهبان الاخر أن ياكلوا معهُ لئلّا يستحي ۞ وكان يسلك في النسك وتعذيب الجسد مسلكًا جليلًا ليحفظ العفة والطّهارة لنفسهِ ۞

الفصل العشرون

في انتصارهِ على تجارب الشيطان ووصيّتهِ بمحبة القريب

وفيما هو منفرد يصلّي في قلّايتهِ اذ ناداهُ الشيطان ثلث مرّات قائلًا: يا فرنسيس ،

فاجابهُ. نعم لبيّك ولم يعلم مَن ناداهُ. فقال الشيطان. كل رجل خاطئ في الدنيا فاذا تاب تُغفر لهُ خطاياهُ الّا من قتل نفسهُ بالنسك والرياضات الزائدة فان الله لا يغفر لهُ ابدًا. فاضرم حينئذٍ نار الشهوة في قلب مار فرنسيس حتّى انهُ حدث لهُ في هذه التجربة ما لم يحدث لهُ مرّةً اخرى فقام فرنسيس وخلع ثيابهُ. وضرب جسدهُ بالحبال. فسكنت الشهوة عنهُ. وخرج فالقى نفسهُ في الثلج مخاطبًا جسدهُ قائلًا: يا جسدي لان تخدم ربًّا واحدًا خير من أن تخدم ربّين. فربّك هو الله ولا يرضى عن

عبدٌ ان يخدم غيرهُ متنعّمًا باللذّات
الشّهوانيّة. فان اعجبك الثلج اكثر من الصلوة
والصوم فحبًّا وكرامةً. وان لم يعجبك ذلك
فلا ترضَ بالشّهوات واخدم اللّه ربّك.
وكان واحد من تلاميذهِ في ذلك الوقت
يصلّي ساهرًا. فسمع كلّ ما صار * وترك
فرنسيس فعلهُ هذا مثالًا لتلاميذهِ أن يفعلوا
في أجسادهم هكذا. اذا التهبت نار الشهوة
فيهم * وكان يامر تلاميذهُ ان يشتغلوا في
الصلوة والعبادة وغيرها من الافعال الخدميّة
كالفلاحة والخياطة والنجارة. لكي يصونوا
انفسهم في العفّة والطهارة. فانّ الانسا

إن لم يكن مشغولاً بما هو نافع فمن اللآزم أن يشتغل فكره بشيء قبيح مذموم . ومتى رآه الشيطان بطّالاً فانه يقوى عليهِ بالتجربة ويسقطه بسهولة في الخطيئة ☼

وكان يوصيهم أن يربُّوا في قلوبهم الفرح الروحي . لانهُ دليلٌ على طهارة القلب والاشتغال بالطاعة . لانّ الانسان بهذا الحال مهما اصابهُ من الهموم والبلايا والاحزان فانهُ يصبر عليها لاجل محبّة الله وخدمتهِ لأنّ التجارب الواردة من الشيطان انما هي علامة محبّة الله وخدمته وكلما استولت التجارب على الانسان

بزيادةٍ يتموى في العبادة والطاعة للّه كما جرى لايوب الصدّيق * وكان مارفرنسيس يقول لتلاميذه: اذا زال هذا الفرح الروحي من قلوبكم تجدونهُ في الصلوة والعبادة فاطلبوا من اللّه أَن يردّهُ اليكم *

وكان يامرهم أَن يحذروا من كلّ ما يضادّ المحبّة ولا يسبّوا احدًا . لانهُ مرّةً سمع احد الرهبان يسبّ رفيقهُ . فامر واحدًا من تلاميذهِ أَن يفحص عن حقيقة الامر ويعزّر المذنب وكان يقول : اذا دخلت الفتنة والشتيمة في رهبنتي تبرد المحبّة بين الرهبان واذا بردت المحبّة زالت الرهبنة * واوصى

العلمآء من رهبانه أن لا يحتقروا الاميّين الذين بينهم ، وأن يسلكوا بالتواضع كباقي الرهبان القديمي العلم * وضرب لهم مثلًا قائلًا : اجتمع كل الرهبان الذين دخلوا في الرهبنة من العلمآء والاميّين الذين خدموا الله ونذروا له الطاعة ، فامر الرئيس احد العلمآء أن يكرز على الرهبان ، فقال هذا في نفسه : لا يليق بي أن اكرز الّا بالبلاغة والفصاحة امام العلمآء الخبيرين بالاشيآء الغامضة وهم لا حاجة لهم الى التعليم ، فلعلّهم يطيب لهم كلامي اذا كرزتُ عليهم بالفصاحة ، فقام وهو لابسٌ ثوبًا عتيقًا

وشرع يقول : يا اخوتي نحن عاهدنا اللّٰه بأشياء عظيمةٍ ، وهو وعدنا باعظم منها ، ونذرنا له الفقر والطاعة والعفّة وترك الدنيا ، فان حفظنا نذرنا هذا فيمنحنا الجنّة والمجد والكرامة ، إنّ سرور الدنيا ولذّاتها قصيرة محدودة وعقابها بلاانتهاء ، والتعب في تحصيل الفضائل مدّته قليلة ، ولكنّ الاجر والثواب الحاصل لنا منه هو أبديّ غير محدود ، إنّ المدعوّين الى الملكوت كثيرون والمختارين قليلون ، وسيجازي كلّ أحدٍ كافعاله إمّا خيرًا وإمّا شرًّا ❊ فتحرّكت قلوب السامعين حتّى بكوا بكاءً شديدًا ، وقال :

إنّ الجماعة الكبيرة يصير فيها علمآء وجاهلون . فالواجب على العلمآء أن يتبعوا الجاهلين في خدمتهم بالافعال الدنيّة فيحفظوا نفوسهم من العُجْب والكبرياء . ويجب على الجاهلين ان يتأمّلوا في احوال العلمآء كيف تركوا مجد الدنيا وزينتها وأموالها ومناصبها . والزموا نفوسهم بالفقر والتواضع والطاعة ☼ وهكذا العلمآء والجاهلون يكونون سويّةً برهبنةٍ واحدةٍ وقانونٍ واحد ☼

الفصل الحادي والعشرون

في اهتمامه على تلاميذه أن يلازموا الطاعة

وعدا هذه الفضائل المذكورة كان يوصي تلاميذهُ بفضيلة الطاعة . وعلّمهم أن يطيعوا رؤساءهم في كلّ ما يامرونهم بهِ . فقالوا لهُ ما هي الطاعة . فاجابَ . إنّهُ يعسر جدًّا وجود رجل متّصف بالطاعة . فهو كالميت اذا اجلسوه في كل مكان يبقى فيه سوآء كان عاليًا ام دنيًّا . واذا البسوهُ ثيابًا ناعمة فلا يفتخر . او باليةً فلا يشكو . ومهما فعلوا بهِ فلا يضادّهم * والرجل المتّصف بالطاعة اذا نُصب في درجةٍ عاليةٍ

لا يفتكر فيها واذا عُزِل فلا يشكو ولا يحزن ·
فاجر الطاعة عظيم لأَنّ من يطيع غيرهُ
فالطاعة ليست لهُ بل للّه لانهُ يترك ارادتهُ
بيد ذاك الانسان لاجل محبّة الله ❊
ولاجل فضيلة الطاعة ترك مار فرنسيس
الرياسة · ونذر الطاعة لاحد الرؤساء ❊

وقُدِّم لهُ ذات يوم واحدٌ من رهبانهِ
خالف الطاعة فحدَّ عليهِ قانونًا · فعلم أَنهُ
ندم على فعلهِ · فاراد أَن يعفو عنهُ · غيرَ
أَنّهُ رسم عليهِ قانونًا لئلّا يحدث بين
الرهبان فتور بالطاعة · وامر أَن يخلعوا
طنطورهُ ويحرقوهُ بالنّار فلم يحترق . فتعجّبوا

من هذا. فاخرجوهُ من النار ودفعوهُ الى الراهب * ويوماً آخر امر احد رهبانهِ أن يخدم رجلًا ابرص . فأبى الراهب . فقال: احفروا الارض واطمروهُ حيًّا لانّي ظننتُ أنّ تحت يدي رجلًا ميّتًا عن الدنيا . فاليوم رايتهُ حيًّا . فشرعوا في الحفر . واخذوا الراهب . والقوهُ في الحفرة غصبًا . وردُّوا عليهِ التراب . ولما طمروهُ الى ركبتيهِ جعل يبكي ويقول للرهبان إنّ الشيطان قد تسلّط عليّ والآن تركني ولكن كمّلوا دفنني فاني مستحقٌّ هذا الموت . فاخبروا فرنسيس بتوبتهِ . فامر ان يخرجوهُ من الحفرة حيًّا

وباتوا به . فلما اتوا به قال له : يا اخي اي دير من الاديرة تختار فانا ارسلك اليه بالطاعة . فاجابه : لا يا ابانا لا اطلب خدمة الاّ الخدمة التي كلّفتني بها اولاً . فلما سمع ذلك بارك عليه * وكانت غاية وضعه القانون عليه هي رجوعه عن خطيّته بالتوبة * وعلم بهذا أنّه يجب على الرؤساء أن يقبلوا الخاطئ اذا تاب عن خطيّته مثلما علّمنا السيّد له المجد بمثل الابن الشاطر الذي قال لابيه انّي أخطأت في السماء وقدّامك . واذ علم ابوه صدق توبته قبله قبولاً حسنًا وذبح له العجل المعلوف *

الفصل الثاني والعشرون

في أنّ الله اوحى الى مارفرنسيس بالمشورات الثلاث

إنّ القدّيس ما كان يقبل احداً في رهبنتهِ اذا لم يتصدّق بمالهِ على الفقرآء في سنة التجربة . ولعظم حبّهِ للفقرآء امر رهبانهُ أن لا يقتنوا شيأً على الارض حتى بيوتهم وان يكونوا متى ما تصدّق الناس عليهم بشيءٍ ثم استردّوهُ منهم مرّةً اخرى يردّونهُ لهم ليبعد عن رهبانهِ حبّ الدنيا ولهوها * وفي احد الايام سافر الى مدينة ما مع بعض تلاميذهِ . واذ دنوا من المدينة ترآءت لهم ثلث نسآء متشابهات في

الصورة والزيّ. فسلّمن على مار فرنسيس ورفقته قائلات: السلام على الفقر المقدّس وغبن عنهم. ففرحوا فرحًا عظيمًا * إنّ هؤلاء الاشخاص الثلاثة كانوا ملائكة ظهروا بصورة نساء اشارةً الى المشورات الانجيليّة الثلاث. اعني الفقر والطاعة والعفّة التي نذرها * ولكثرة حبّه للفقر ما كان يريد أن يكون احدٌ افقر منهُ في اللباس والاكل. فاتّفق أنّهُ رأى واحدًا افقر منهُ في الملبوس. فالتفت الى رفقته وقال: هذا يعيّرنا في فقرنا لاننّا نسبنا الفقر الى الفضيلة وهذا البائس افقر منّا. وقد شاع خبرنا عند

الناس أننا سالكون في طريق الفقر ٠ ومع ذلك يوجد افقر منّا ٠ وقال: كلّما احببتم أن ترفضوا الدراهم وأموال الدنيا يتصدّق عليكم الناس في احتياجاتكم الضروريّة ٠ وبالعكس كلّما تباعدتم عن الفقر ورغبتم في المال تهجركم الناس ولا تتصدّق عليكم ٠ فاذا صرتم في حال الفقر الحقيقي وتوكّلتم عليهِ يلهم الله قلوب الناس أن يمنحوكم كل ما تحتاجون اليهِ من الكسوة والطعام والسكنى * وحضر فرنسيس ذات يوم لدى مطران اسّيسيا ٠ فقال لهُ المطران: إنّ هذا السلوك عسر على الانسان ولاسيّما

لانكم ليس لكم ما تقتاتون بهِ وتسدّون بهِ حوائجكم . فاجابهُ وقال: ياسيّدي لوكان لنا شي معيّن من الاكل والاموال والاوقاف لما كنّا ندعى فقرآء . وإنّ هذه الاشيآء بسببها تصدر الفتن والخصومات بيننا واشيآء اخرى تضادُّ محبّة الله والقريب . فلهذا السبب الاحسن أن لا نملك شيئًا في العالم . ونرجوهُ تعالى أن يلهم الناس ان يحسنوا الينا في حوائجنا من الكسوة والطعام . فلما سمع المطران هذا الجواب سكت *

وتبيّنت صحّة قول القدّيس الى يومنا هذا . لانّنا راينا رهبانًا بلا عددٍ من

رهبنته ليس لهم شيء معيّن والدير يعطيهم كلّ ما يحتاجون اليهِ * ولمّا كثرت رهبانهُ كان يمضي ويطلب الصدقة من الأبواب. وبفعلهِ هذا اعطى مثالاً للاميذهِ أن لا يخجلوا من طلب الصدقة. لأنّ اكثرهم كانوا من الاغنياء والأعيان. لكيلا يندموا على نذرهم الفقر وترك الدنيا ولكي تتشدّد قلوبهم وتقوى في محبّة الله والفقر الاختياريّ. ثمّ انّهم كانوا قبلاً يستحيون لكن بتذكّرهم نذر الطاعة هان عليهم طلب الصدقة * وقال لهم: انّ السؤال كرامةٌ لكم. والعبد لا يستحيي أن يفعل ما

بفعله المولى حيث ان المسيح الذي هو رب الارباب والموالي افتقر من اجلنا وطلب الصدقة . فلا نسلك طريقًا إلّا والمسيح قد سبقنا فيه كما قال عن نفسه في الزبور الالهي : انا فقير ومسكين . فاقتدوا بآثار ولايكم * فتقوّت قلوب تلاميذه ومضوا الى المدن والقرى يطلبون الصدقة . وحين رجوعهم كلّ ما كان معهم من الصدقات وضعوه امام الرئيس . وهو كان يقسمهُ على الرهبان بقدر احتياج كلّ منهم * وانطلق احد الرهبان لطلب الصدقة فجمع ما تيسّر له وعاد . فلمّا وصل الى كنيسة السيّدة

رفع صوته قائلاً: الحمد لله . فسمع فرنسيس من داخل الكنيسة فخرج اليه ، وقبّل كتفهُ . وأخذ الكيس وحملهُ الى الدير . فقال: انا اريد ان يرجع رهباني من طلب الصدقة حامدين الله وشاكرينهُ . وقال مرّةً لأحد الاخوة المبتدئين في التجربة أن يذهب للصدقة . فاجابهُ: انّي استحيي . فاخرجهُ من الرهبنة قائلاً: يا جاهل اذهب الى بيتك واهلك لانّك غير مستحقٍّ أن تاكل من تعب الرهبان وطعامهم * وقال لتلاميذه: انّ الله ارسلنا الى الدّنيا في آخر الازمنة لكي نهدي المختارين الى الملكوت

ليفعلوا الرحمة ويسمعوا في القيامة ذلك الصوت كنتُ جائعاً فاطعمتموني وعطشاناً فسقيتموني وعرياناً فكسوتموني ۞

الفصل الثالث والعشرون

في ارشاده لاثنين من مدرسة مدينة بلونيا ودخليهما برهبنته

وأتى فرنسيس احد الأيام الى مدينة بلونيا فخرج الخلق كلّهم راكضين ليشاهدوه • وبالجهد كانوا يقدرون أن يصلوا الى السوق الذي كان فيه موجوداً فارتقى الى مكان عالٍ • وشرع يكرز بكلّ ما الهمه الروح بنوع عجيب حتى كان السامعون يظنّون

أنّ تلك الاقوال كانت من فم ملاك
لا من فم انسان . لانّ كلامه كان سماويّاً
فكان كمثل السهام يجرح قلوب السامعين
حتّى انّه بدرج جمع غفير من نساء ورجال
الى التوبة * ومن جملة هؤلاء كان شابّان
شريفان من اقليم انكونيا كانا يدرسان
بمدرسة بلونيا . وكان اسم احدهما بلكرينو
واسم الآخر بينيتو . هذان التهبت قلوبهما
بالالهام الالهيّ من عند استماع الكرزة
فاتيا الى القدّيس وقالا له : أنّنا نريد ان
نترك الدنيا وندخل في رهبنتك . فعلم
بوحي الروح القدس أنّهما مرسلان من

اللذالية وعتيدان أن يعيشا بسيرة مقدسة في الرهبنة فرأى كثرة حرارتهما فقبلهما بفرح وقال للأخ بالكرنيو: اسلك في التواضع. وقال للأخ زيريك: أخدم الأخوة. وفعلا مثلما امرهما لان بالكرنيو ما سلك كشماس بل كراهب عامي. ومع أنه كان عالماً ونحريراً في علم الفقه ارتقى بواسطة التواضع الى درجة الكمال. حتى ان الأخ برنردس شهد عنه قائلاً: أنه صار كاملاً اكثر من الرهبان الفاضلين بالكمال. واخيراً انتقل من هذه الحيوة الى الحيوة السعيدة مملوًا من الفضيلة والقداسة. وصنع كرامات

كثيرةً قبل وفاتهِ وبعدها ※ والاخ رنيري كان
يخدم الرهبان بخشوعٍ وامانةٍ عائشًا بقداسةٍ
وتواضعٍ لا يوصفان . ورضي عنهُ مار
فرنسيس . فكان يكشف لهُ أسرارهُ . فصار
رئيسًا في مدينة انكونا مدةً من الزمان
بالهدوّ والسلام . فسمح الباري ان يُجرَّب
تجربةً قويّةً في نفسهِ فتضايق جدًّا منها .
وكان يعذّب جسدهُ بالاصوام والجلد والبكآء
والصلوة ليلاً ونهارًا ولم تهدأ عنه التجربة .
وكان أحيانًا يقطع رجآءهُ كأنهُ متروك من
الله . وفي الآخر عزم أن يمضي الى القدّيس
فرنسيس . وقال في نفسهِ : ان قبلني بوجهٍ

بشوش واراني الصداقة القديمة فهذه علامة
أَنّ الله يرفع عنّي هذه التجربة، وان لم يقبلني
بفرحٍ استدلّ من ذلك أَنّي متروكٌ من الله،
فانطلق الى القديس في دار مطران اسيسيا
وكان مدنفًا، فدعا فرنسيس في الحال الاخ
ليون والاخ ماسيو وقال لهما: اذهبا سريعًا
للقاء الاخ رنيري المحبوب، لانّهُ كان الله قد
اوحى اليهِ قبلاً بكلّ انواع تجربتهِ وارادتهِ ان
ياتي عنده، وقال لهما: عانقاه عوضني وسلّما
عليهِ واخبراهُ أَنّي احبّهُ اكثر من جميع
الاخوة الموجودة في العالم، فذهبا سريعًا
وصادفاهُ في الطريق، وعانقاهُ وقالا لهُ

كلّ ما اوصاهما به، فامتنعت نفسهُ من التجربة والخلاوة، وصار كمثل الخارج عن حسهِ، فشكر اللّه ودخل على مار فرنسيس، فلمّا سمع فرنسيس بقدومهِ مع كونهِ مريضًا قام وخرج للقائهِ، وعانقهُ قائلاً: يا ابني الحبيب انا احبك، ورسم على جبهتهِ اشارة الصليب المقدّس وقال لهُ: انّ الله تعالى سمح أن تلمّ بك هذه النائبة لتنال اجرًا اكثر، وان لم تردِ هذا المكسب لم تنلهُ، فيا للعجب المدهش، انّ الاخ رتيري حالما سمع هذه الكلمات تركتهُ التجربة وحصل على سلوى عظيمة ☼

الفصل الرابع والعشرون

في شرح القدّيس للأخ ليون رفيقه على أيّ شيء يتوقّف الكمال الحقيقي

انّه لمّا كان القدّيس آتيًا من بروجيا الى كنيسة مريم العذراء الملائكيّة ومعه الأخ ليون وكان شتاء والبرد يؤذيهم نادى الأخ ليون وقال له: اذا كان الرهبان الصغار يصيرون قدوة عظيمة في القداسة والفضيلة في كلّ الارض فاكتب باجتهاد أنّ الفرح الكامل لا يتوقّف على هذا . فصاح مرّة ثانية وقال: أيّها الأخ ليون اذا كان الراهب الصغير يفتح العميان ويشفي المقعدين

ويخرج الشياطين ويردّ السمع للصُمّ والمشي للعُرج والتكلّم للخرس ويقيم الموتى فاكتب أنّ السرور الكامل لا يتوقّف على هذا ايضًا. فصاح مرّةً ثالثةً: ايها الاخ ليون اذا كان الراهب الصّغير يعرف كلّ الالسن والعلوم والكتب المقدّسة ويتنبّأ عن الاشياء المستقبلة لا بل عن أسرار ضمائر الناس ايضًا فاكتب أنّ الابتهاج الكامل لا يتوقّف على هذا ايضًا. فصاح مرّةً رابعةً: ايّها الاخ ليون يا خروف الله الصغير اذا كان الراهب الصغير يتكلّم بلسان الملاك ويعرف رتب النجوم وعددهنّ وخواصّ النباتات وكنوز

الارض وأجناس طيور السمآء وسمك البحر والمياه والاشجار والناس فاكتب أنَّ الفرح الكامل لا يتوقف على هذا ايضًا . فصاح مرة خامسة : ايها الاخ ليون اذا كان الراهب الصغير يحسن الكرز حتَّى أنَّهُ يرجع جميع الامم الى ايمان المسيح بكرزه فاكتب أنَّ السرور الكامل لا يتوقف على ذلك . فتعجب الاخ ليون من هذا وقال لهُ : بحبّ الله اعلمني اخيرًا على ايّ شيء يتوقف . فاجابهُ : اذا بلغنا دير القدّيسة مريم الملائكية ونحن منقوعون وجامدون من المطر والبرد ، وملطخون بالوحل

وذائبون جوعًا . وننقر الباب . والبوّاب
بغضبٍ يقول لنا من انتم . فنجاوبهُ نحن من
اخوتكم . فهو يردّ لنا الجواب : انتم ما تتكلمون
بالحقّ بل انتم اشرار تلتمسون أن تسرقوا
صدقات المساكين . فاذهبوا من هنا لن
افتح لكم . فيتركنا خارجًا تحت الثلج والمطر
والبرد ونحن جياع الليل كلّهُ نحتمل هذه
الاهانة والقساوة بكلّ صبرٍ من دون
اضطرابٍ وتذمّرٍ . متيقّنين بكلّ تواضعٍ أنّ
البوّاب يعرفنا حقًّا . والباري تعالى يسمح لهُ
أن يسبّنا هكذا فاكتب : هاهنا يوجد الفرح
الكامل * وإن بقينا ننقر الباب . فيخرج

البوّاب بغضبٍ ويطردنا ويوبّخنا ويشتمنا قائلاً: اذهبوا ايّها اللصوص الى البيمارستان ما نطعمكم ولا نأويكم . فإن احتملنا هذه الاهانة بكلّ سرورٍ وصبرٍ فاكتب: هاهنا يوجد السرور الكامل ۞ ولزيادة جوعنا وبرد اللّيل نقرع الباب ايضًا ونتوسّل متضرّعين اليه ان يفتح لنا من اجل محبّة الله فيشتدّ البوّاب فينا ايضًا ويقول في ذاته اريد أن اقاصصهم . فيخرج ويبده عصا ويمسكنا ويطرحنا في الارض على الثلج . ويضربنا بعصاه المعقّدة . فإن نحن احتملنا عذابنا متذكّرين آلام المسيح المبارك الواجب أن

نحتملها لاجل محبّته فاكتب انهُ في هذه
الاشيآء يتوقّف الفرح الكامل * فاسمع
اخيرًا النتيجة . انّ اجلّ نعم الروح القدس
ومواهبه التي يمنحها المسيح لاحبائه هي أن
يغلب الانسان المسيحي ذاتهُ ويحتمل
كلّ العذابات والاهانات والاحتقارات
والأتعاب من اجل حبّ المسيح . وليس لنا
أن نفتخر بالمواهب الالهيّة الأخرى . لأنّها
ليست لنا بل لله . وعلى هذا يقول الرسول :
ما هو الذي لك ولم تاخذه وإن كنت قد
اخذتهُ فلماذا تفتخر كانّك ما اخذتهُ . امّا
الشدائد والضيقات فنقدر أن نفتخر بها .

لانها خاصتنا كقول الرسول: لستُ افتخر
الّا بصليب سيّدي يسوع المسيح *

الفصل الخامس والعشرون

في محاورة فرنسيس والاخ ليون

كانوا مرّةً في مكانٍ ليس فيه كتاب
الفرض. فلمّا بلغ وقت صلاة الصبح. قال
القديس للاخ ليون: ليس هنا كتاب نتلو بهِ
الفرض. فلكي نصرف الزمان في المدائح
الالهيّة. هلمّ نتناشد. فاقول انا. وتجاوبني
انت مثلما اعلّمك. واحترس أن لا تغيّر
الكلام فاقول انا: يا فرنسيس انت عملت
أسواءً وخطايا كثيرة قبل أن تصير راهبًا.

وجاوبني انت: حقًّا إنّك تستحق جهنّم السفلى. فقال الاخ ليون: حبًّا وطاعةً ايّها الاب المحترم. فأبدأ باسم الله. فابتدأ مار فرنسيس وقال لذاته: انت صنعت شرورًا وخطايا حتّى صرت مستحقًّا لجهنّم. فجاوبهُ: إنّ الله جعل بواسطتك خيراتٍ كثيرةً من اجلها انت تحظى بالملكوت. فزجرهُ وأمرهُ أن لا يقول الّا ما امرهُ به. وقال: انا اقول عن نفسي يا فرنسيس قد عملتَ أشياء قبيحة وإساءتَ الى الله. ولهذا استحقّيتَ أن تكون ملعونًا من الله. وجاوبني انت انّك تستحق أن تكون موضوعًا بين الملاعين. فقال

الاخ حبًّا وكرامةً ، ايتها الاب المحترم ، فجعل القدّيس يبكي ويضرب صدره ، ويقول بصوتٍ عالٍ : يا ربّ اله السماء والارض انّي قد اسأتُ اليك بخطايا كثيرة حتى صرتُ بكلّيتي مستحقًّا أن اكون ملعونًا منك ، فقال الاخ : انّ الباري تعالى يجعلك أن تبارك مع المباركين ، فتعجّب على جوابه هذا وقال له : والآن آمرك بحقّ الطاعة أن تجاوبني مثلما اتكلّم ، انا اقول يا فرنسيس أَتظنّ أنّ الله يترأف عليك ، لأنّك ارتكبتَ خطايا كثيرةً بها اجرمتَ الى رحمته فقل انت بقلبٍ صافٍ : إنّك ما تستحقّ أن تجد رحمةً

ابدًا. فاعطاهُ الجواب: انّ رحمة الله هي اكثر
من خطاياك. سيصنع معك رحمةً عظيمة.
ويمنحك نعمًا غزيرة ۞ فقلق فرنسيس بحلمٍ
وقال لهُ: لماذا خالفت الطاعة واجبتني
هكذا. فقال لهُ: إنّ الله يعلم يا ابي المحترم أنّني
اريد كلّ مرة أن اجاوبك مثلما تامرني. ولكنّ
الربّ ينطقني مثلما يريد. فسالهُ أن يجاوبهُ
اخيرًا بهذه المرّة بكلّ حبٍّ مثلما يامرهُ. فوعدهُ
أنّهُ لا يخالف امرهُ هذه المرّة. فقال فرنسيس
لذاتهِ: ترى هل يتراءف الله عليك. قال:
انّك ستنال منه نعمًا كثيرةً ويرفعك ويمجّدك
في الفردوس. لانّهُ قال: من يتّضع يرتفع. وانا

لااقدر أن اقول شيئاً آخر لانّ الربّ يتكلّم بفمي * وفي هذه ونظائرها صرفوا الوقت الى ان اشرقت الشمس بالتعزيات الروحيّة *

الفصل السادس والعشرون

في شفقة مار فرنسيس على الفقرآء

واتّفق يوماً أنّ احد الكردينالات دعا مار فرنسيس للضّيافة . فذهب وجمع له صدقةً . وانطلق بها الى الغدآء . فقسّم الخبز وفرّقه على المدعوّين من الاكابر . فاكلوه اكراماً له . وبعدما انصرفوا قال له الكردينال : اليوم اخجلتني بذهابك للصدقة . فماذا تقول عنّي الاكابر . قال : إنّي اكرمتكم بفعلي هذا .

لانّي اليوم اكرمتُ مولى اكبر منكم اعني المسيح باكل المدعوّين من الصدقة. وتحقّقتُ أنّهُ سيدخل في رهبنتي اناسٌ كثيرون من الاغنياء ويفرحون بطلب الصدقة بتواضع. وعلمتُ أنّ بعضهم يخجلون من التسوّل فعلّمتهم أن لا يستحيوا لئلّا يكون لهم عذر واريد من رهباني كلّهم أن يعلموا أنّي احبّ القيام والجلوس والاكل معهم بمائدتهم الفقريّة اكثر من الحبّ والميل لموائدكم الملايلة لانّهُ في موائد الفقرآء يؤكل الخبز الموهوب من اجل حبّ الله.

ففرح الكردينال بجوابهِ ❊

ومع فقره هذا كان يظهر الرحمة والشفقة على الفقرآء ولا يردّ طلبتهم. كقول السيّد أعطوا تُعطَوا * ورأى مرّةً فقيرًا فاحبّه كالمسيح. وقال كلّ ما في العالم فهو للمسيح وهو مالكه لأنّه مالك الملوك وربّ الارباب فإن احتاج المسيح الى ملكه فلابدّ لنا أن نعطيَهُ ما يحتاجه بواسطة الفقرآء * واتّفق أنّ رجلًا تاجرًا اعطاهُ ثوبًا ليعمله كسوةً يدفع عنه البرد. واذا بامرأةٍ عجوزٍ فقيرةٍ أتت اليه تطلب صدقةً فنزع عنه للوقت الثوب واعطاها ايّاه. وقال لها: اذهبي يا اختي واعمليه كساءً. لانّكِ محتاجةٌ اليه.

فمضت الى بيتها فارحةً وفصّلته . فما كفى . فرجعت اليه واخبرته بذلك . فالتفت الى رفيقه وقال له : إنّ هذه المرأة محتاجةٌ الى ثوبٍ لتكميل كسوتها فتصدّق عليها بردائك لكي تكمّله . فنزع للوقت الراهب رداءهُ واعطاها اياه وبقيا كلاهما بلا أردية في الشتاء ❊

ثمّ انّه رأى رجلاً فقيرًا يبكي على موت زوجته وفقر اولاده وليس عندهم ما يأكلون ويكتسون . فعزّاه اوّلاً من حزنه . ثمّ خلع رداءهُ واعطاهُ للفقير وقال له : انا اعطيك هذا في سبيل الله بشرط أن لا تعطيهُ لاحد

بدراهم. فاذ سمع الرهبان ما عمل القدّيس بادروا ليأخذوا الثوب منهُ. فامتنع الفقير فجاء رجل من أصحابهم ودفع اليهِ ثمن الثوب ※

وكان يأمرهم أن يحبّوا الفقرآء ويكرموهم لانّهم اخوة المسيح. لانّهُ قال: مهما فعلتم باحد اخوتي هؤلآء الصغار فبي فعلتم. فاذ كان مرّةً مسافرًا رأى رجلًا فقيرًا مطعونًا مريضًا. فقال لرفيقهِ: اسف على هذا المسكين. فقال رفيقهُ: حقًّا إنّ هذا الرجل فقيرٌ في الظاهر ولكن يمكن أنّهُ يحبّ لأموال الدنيا في قلبهِ. فوبّخهُ على قولهِ هذا

توبيخًا شديدًا ، وقال لهُ : إن اردتَ صحبتي فيجب أن تطيع في كلّ ما آمرك بهِ ، اخلع رداك ، واذهب الى الفقير ، واجثُ على رجليهِ ، واطلب منهُ الغفران عمّا قلتهُ في حقهِ . ففعل الراهب مثلما امرهُ ، ورسم هذا القانون على احد الفقرآء حينما طلب منهُ الصدقة ❊ وكان يعلم رهبانهُ قائلًا : اذا رايتم فقيرًا فاجعلوهُ مرآةً لكم تبصرون فيها فقر المسيح وامهِ ، وإن رايتم مريضًا فتاملوا في الأوجاع والأتعاب التي احتملها المسيح بنفسهِ لخلاصنا . وكما انهُ تعالى لا يريد أن يكون لاهل الدنيا الاغنياء رغبة أن

يتكبروا على الفقرآء ويشتموهم . فلا يريد ان تكون فينا هذه الخصلة . لانّنا قد نذرنا لله الفقر . وهو يامرهم الناس أن يكرمونا . فماذا يفعل معنا اذا ردّينا الفقرآء اخوته وشتمناهم فينبغي لنا الفرار والحذر لئلّا يسلّط الله الناس علينا ويحتقرونا ويشتمونا ويفعلوا بنا مثلما فعلنا بواحد من الفقرآء *

وكان يامرهم أن يحتقروا المال وينزلوهُ منزلة الوحل . وكان يقول لهم : انّ الذي يحبّ المال لا يستحقّ أن يكون لي راهبًا وقد اشرف على الهلاك * وممّا جرى من ذلك أنّ بعض الناس دفع يومًا صدقةً

للرهبان في كنيسة السيّدة. فرآها واحد منهم فاخفاها ليفرّقها على الفقرآء . فسمع القدّيس فلم يأذن لهُ ونصحهُ. وامرهُ أن يأخذها بفمهِ ويلقيها في الكنيف. ففعل مثلما امرهُ * وكان مرّة مسافرًا فرأى في الطريق كيسًا فقال لهُ رفيقهُ: باذنك يا ابانا انا آخذ الكيس لنتصدّق بهِ على الفقرآء فابى القدّيس. فكرّر عليهِ الطلب فتوسّل القدّيس الى الله ان يظهر للرّاهب شيئًا من شرّ الشيطان. واذن لهُ بأخذ الكيس. فرجع للوقت وهو خائف، ومدّ يدهُ الى الكيس فرأى حيّةً خرجت من الكيس، وغابت

هي والكيس . فخرّ الراهب عند قدمي القدّيس . واعترف بذنبهِ . فقال لهُ : اعلم يا اخي أنّ الدراهم للراهب مضرّة كضرر الحيّة ☼ هذا ما رأينا ان نذكرهُ الى هنا في فضيلة الفقر والطاعة التي نذرها فرنسيس ورهبانه ليكتسبوا الفضائل ☼

الفصل السابع والعشرون

في موهبة الوعظ التي نالها من الله

لمّا علم فرنسيس أنَّهُ مرسل من الله تعالى لإنقاذ كثيرين من الاثم والنار اجتهد في الكرز . وكان مهما ألهمهُ الله في الصلوة العقليّة كرزهُ في الكنائس ☼ وامرهُ يومًا كردينال

ان يكرز قدّام البابا وأعيان رومية. فاجتهد مدّة طويلةً في قراءة الكتب ليهيّء كلامًا فصيحًا. فلمّا صعد المنبر وبدأ بالخطبة ارتج عليهِ. فاعترف قائلاً: انّي اجتهدتُ مدّةً في ترتيب كرزتي لتصير لطيفة العبارات فصيحةً ثمّ سكت. فصلّى في نفسهِ وترك كلّ ما كان قد رتبهُ في تلك المدّة. وتكلّم بالهام الله فاتى باقوالٍ عجيبةٍ واسرارٍ غريبة دقيقة سرّيّة حتّى بهر كلّ من كان يسمعهُ. وحقّقوا فيهِ قول المسيح لتلاميذهِ: لستم انتم المتكلّمين لكن روح ابيكم يتكلّم فيكم * وكان يكرم الواعظين إكرامًا خاصًّا. لانّهم

بخلصون اولاد ادم من الموت الروحي * ولذلك اوصى في الرسم التاسع من قانونه لتلاميذه أن يعظوا الناس وينبهوهم عن الفضائل والأعمال الصالحة ويرهبوهم من العذاب ويحذروهم عن الرذائل والخطايا . ويرغبوهم في الاجر والثواب * ولم تزل غيرته بل تزايدت لتخليص الكفرة . فعزم أن يسافر الى بلاد سوريا ليجذب اهلها الى دين المسيح . ولكن الرياح ضادت السفينة في المسير . فخرج الى بلاد اخرى . فوجد سفينة تسافر الى بلاد إطاليا . فما اراد صاحب السفينة أن ياخذهم

لانّه رآهم فقرآء وليس لهم دراهم . فدخلوا بغير علمهِ . وظهر ملاك من السمآء امر احد النجّار ان يتصدّق على هولآء الفقرآء بالكروة والزاد . ثمّ ضاددتهم الريح . وتاهوا عن الطريق . ونفدت المؤونة قبل وصولهم الى بلادهم . ولم يبقَ في السفينة شيء غير الزاد الذي عند القدّيس . فالقى الله فيهِ البركة وكفى كلّ مَن كان في المركب الى أن وصلوا الى بلادهم * وفي رجوعهِ الواقع سنة ١٢١٢ من ميلاد المسيح وضع الاساس لرهبنة الصغار الفقرآء *

الفصل الثامن والعشرون

في اتباع القديسة كلارة لمار فرنسيس

إنّ اوّل الراهبات اللواتي تبعن مار فرنسيس كانت عذراء اسمها كلارة اي بهيّة . ودعيت بهذا الاسم لأنّ امّها لمّا كانت حاملاً بها سمعت صوتاً هاتفاً : انّ الطفل الذي في بطنك سينتشر نورهُ في الارض كلّها * وكانت كلارة ابنة رجل من اكابر مدينة اسّيسيا . فسمعت بأخبار القدّيس فرنسيس وتلاميذه وتركهم الدنيا ولذّاتها وشهواتها . فاختارت التمسّك بالرهبنة ولزوم المشورات الانجيلية وبهذه النيّة وافت الى مار فرنسيس

وكشفت له ضميرها . ففرح غاية الفرح وبالهام الهي فهم انّ مثلما هو جاء ليجذب اكثر الرجال الى الرهبنة ويمنعهم عن لذّات الدنيا كذلك اختار كلاره لتجذب اكثر النساء الى الرهبنة وتمنعهم عن لذّات الدنيا وتعلّمهم خدمة الله * فكلّمها القدّيس عن زوال الدنيا وسرورها . ووصف لها فضائل الفقر والعفّة والطاعة . وفي ساعتها هجرت مالها وبيت ابيها لتبقى في الرهبنة حتّى الموت . فاذ عرف قصدها وثباتها امرها ان تاتي في عيد الشعانين الى الكنيسة . لأنّ اولاد اليهود قطعوا اغصان النخل والزيتون وفرشوه

تحت حوافر حمار المسيح . ولهذه الغاية يقسّمون في الكنائس كلّ سنة على المسيحيّين اغصان النخل والزيتون . فامر كلاره أن تحضر هذا العيد مع سائر الصبيّات وتلبس ثيابها الجليلة وفي الغد تترك بيت ابيها وتاتي الى كنيسة السيّدة . ففعلت كما امرها القدّيس . ولكنّها عند تقسيم الاغصان لم تتقدّم نحو المطران لتاخذ غصنًا منه نظير الصبيّات الاخر . فنزل المطران من المذبح وناولها الغصن وذلك بتدبير الهيّ دلالة على أنّها غلبت الدنيا وقهرت سرورها ولذّاتها . لأنّ النخلة علامة الظفر والنصر ☼

وفي الغد بكرةً خرجت كلاره من بيت ابيها . واتت الى كنيسة السيّدة . وهناك البسها ثياب الرهبنة وقصّ شعرها . وارسلها الى دير راهبات مار بندكتس . فلمّا بلغ اهلها ما فعلت حزنوا واغتاظوا عليها جدًّا فذهبوا الى الدير . فلمّا رأتهم كشفت راسها امامهم وقالت : لا يمكن أن افترق من المسيح الذي لاجلهِ تركتُ الدنيا . ومهما اجتهدتم في إخراجي من هذا المكان بتقوّى قلبي في خدمة الله وطاعتهِ ومحبّة يسوع المسيح حبيبي . فلمّا رأوها ثابتةً في نيّتها تركوها في سبيلها ❊

وبعد زمنٍ انتقلت كلارة من دير بندكتس الى كنيسة دامديانوس التي كان القديس قد عمّرها منذ سنين ، وفيها انشأت رهبنتها للصبيّات الفقيرات ورسم لها قانونًا يضاهي قانونه يقتضي ما يناسبهنّ ❊ وكثيرٌ من بنات الاكابر اجتمعت هناك ، والاولى منهنّ اغنيسة اخت المكرّمة كلارة ، وذلك اذ سمع اقرباؤها أنّها ذهبت الى اختها جاءوا الى الكنيسة واخرجوها غصبًا بالضرب وهي تصرخ مستغيثةً باختها ، وبينما هم في الطريق القى الله عليها ثقلًا ، فسقطت على الارض ولم يستطع احد

على رفعها وتحريكها من مكان الى مكان ،
فرفع عمها يده ليلطمها . فاصاب يده وجع
شديد حتى أنه ما كان يقدر أن يحركها .
فتحقق الجميع أن هذا الامر حدث بارادة الله
وحوله فتركوها في مكانها وانصرفوا . فقامت
وذهبت الى اختها ❊

الفصل التاسع والعشرون

في مجازاة الرب للمحسنين اليه والى رهبانه

وكانت نار المحبة تضطرم في قلبه حتى
صار يتمنى أن يموت شهيدًا في دين المسيح .
ولهذا عزم أن يسافر الى بلاد الغرب ليبشر
اهلها بالانجيل . فاذا انتهى الى اسبانيا مرض

مرضاً شديداً . فلما تعافى الهمه الله أن يرجع
الى إيطاليا عند تلاميذه . فرجع مع رفقته .
فانتهوا الى نهرٍ ولم يستطيعوا أن يعبروه .
فتضرَّع القديس الى الله ليعينهم . فاقبل
عليهم رجلٌ شابٌّ معه دوابٌ محمّلة خبزاً
وكان مسافراً الى مدينة قريبة . فقال لهم :
اصبروا ريثما افرغ الخبز وارجع اليكم .
فصبروا . فاخذهم وركّبهم على الدواب
وقطع بهم النهر فوصلوا الى القرية . فاضافهم
الشاب عنده . وعمل لهم وليمة جليلة .
فشكروه قائلين : جزاك الله اجر الصالحين .
وانصرفوا من عنده . وفي تلك السنة حجَّ ذلك

الشاب الى قبري بطرس وبولس في رومية وفي عودته تضرع الى الله أن يميته قبل أن يفقد الغفران الذي اكتسبه بحجه . فاستجيبت طلبته بشفاعة القديس فرنسيس . ومات قبل أن يصل الى بيته . فلما سمع ابوه بموته عمل له جنازًا كعادة المسيحيين * وبعد دخل الى الكنيسة سبعون راهبًا من رهبنة القديس فرنسيس ورتلوا انغامًا شجية حتى بكى الحاضرون جميعًا . وبعد نهاية القداس دعا اهل الميت الرهبان الى بيتهم واضافوهم ضيافة جليلة . وحين ذهابهم رافقوهم ماشيين معهم نحو

مبلغين . ثم ودعوهم ورجعوا الى بيوتهم
فوجدوها مزينة بألوان الاطعمة كالاول .
وحينئذ عرفوا قوة الله تعالى الذي يجازي
المحسنين الى عبيده . ولوقتهم قاموا تتبعوا اثر
الرهبان فلم يجدوا احداً منهم . وتحققوا أنّ
الله جازى الشاب بما صنع من الجميل مع
مار فرنسيس وجماعته ❊

الفصل الثلاثون

في الرؤيا التي اراها الله لمار فرنسيس
ومار عبد الاحد والبابا

في ذلك الزمان ارسل الله تعالى مار عبد
الاحد الى العالم . ومن الكرامات التي

ابداها الله في شان مار عبد الاحد انه اذ كانت امه حاملاً به رأت في حلمها أن الطفل الكائن في بطنها هو كالكلب حاملاً بفمه شمعةً تنير الارض كلها * وتحقق بعد ذلك معنى هذا الحلم في ايام حياة مار عبد الاحد . وذلك لما مضت رهبانه في جميع الأقطار وانارو الارض بعلومهم وافعالهم معلّمين الناس طريق الخلاص الذي هو النور الحقيقي * ثم إن مار عبد الاحد نفسه طرد الاراتقة واخرجهم من الكنيسة المقدسة . كما يخرج الكلب اللصوص ويرد السارقين من الدار بنبحه وضجيج صوته * وبعد ما

صنّف القديس المومى اليه قانون رهبنتهم انطلق الى رومية الى الحبر الاعظم ليجيز قانونهُ ☼

وفي ليلة من الليالي رأى عبد الاحد في الحلم يسوع المسيح بيده ثلثة رماح وهو يريد أن يطعن بها الخطاة . بالاول يريد أن يواضع المتكبرين . وبالثاني أن يبيد البخلاء والظالمين . وبالثالث أن يهلك الفسقة والفجار . ولم يكن احد يستطيع أن يمنعه من شدة غضبه . حتى جاءت امهُ مريم وقبّلت قدميه . مستشفعةً في الخطاة وقائلةً لهُ : يا ولدي اغفر للخطاة الذين خلّصتهم بدمك

الكريم، وتوسّلت اليه ان يطفي غضبهُ هذا برحمتهِ. وصار عبد الاحد يسمع يسوع قائلاً لوالدته: أما تنظرين اليهم كيف يخالفون اوامري ويشتمونني. فكيف اصبر عليهم غير منتقم منهم. قالت: يا ابني انت تعلم كيف يصير رجوع الخطاة اليك. فاستعمل هذين الرجلين لينذرا الناس برحمتك ويحذّراهم من غضبك. مشيرةً بذلك الى القدّيسَين فرنسيس وعبد الاحد. فرضي يسوع بذلك وسكّن غضبهُ. ولمّا اصبح الصباح انطلق مار فرنسيس وعبد الاحد كلاهما الى الكنيسة ليصلّيا فوجدا بعضهما

وعرفا بعضهما من صورتيهما التي رأياها في المنام فمضى اليه مار عبد الاحد وحضنه واخبرا بعضهما بعضاً بالرؤيا التي نظراها ❀

الفصل الحادي والثلاثون

في قصده السفر الى فرنسا وامتناعه منه

في ذلك الزمن عزم فرنسيس على السفر الى بلاد فرنسا ليعمر فيها ديورة لرهبانه ساعياً في افادة الناس ومنفعتهم الروحية. فلما رحل الى مدينة من مدن ايطاليا وبلغها نزل خارجاً عنها في بيت احد الفقراء لانه وصل مساءً وكانت ابواب المدينة مغلقة.

فجلس مع اولئك المساكين. وبينما هم في الكلام اذ بلغهم خبر أَنَّهُ في المدينة وقعت فتنةٌ عظيمةٌ أُفضت الى عراك شديد وقتل. واستدلّ فرنسيس على صحّة هذا الخبر بسماعهِ ضجّة الاسلحة. وكان ذلك في انتصاف الليل. فمكث ليلتهُ تلك الى الصباح متضرّعًا الى الله بالصلوة ليخلّص تلك المدينة من شرّ الشيطان واستيلائهِ. ولمّا اصبح الصباح نادى رفيقهُ سِلْوِسْتِر وقال لهُ: إنطلق باسم يسوع المسيح واخرج الشياطين قائلًا لهم ايّها الشياطين الذين القيتم هذهِ الفتنة في المدينة اخرجوا منها باذن

اللّه القادر على كل شيءٍ وبقوة الطاعة المقدّسة . فلمّا صاح سلوستر بهذا الصوت هربت الشياطين . ووقع الصلح في المدينة ❊

وفي رجوع فرنسيس دخل تلك المدينة . ووعظ اهلها أن يرفعوا العداوة من بينهم . واوصاهم أن يشكروا اللّه الذي خلّصهم من استيلاء الشيطان على يد القسّيس سلوسترس رفيقهِ ❊ وفي وصولهِ الى مدينة فلورنسا وجد فيها الكردنال رئيس رهبنتهِ . فلمّا علم الكردنال قصد فرنسيس أن ينطلق الى فرنسا لم يأذن لهُ بذلك . وقال لهُ خيرٌ لك ولرهبانك أن تسكنوا ايطاليا كي

ورغبوا اهلها في محبة الفقر وسائر الفضائل
اللائقة بالرهبان . فاجابهُ فرنسيس قائلاً :
ياسيدي انا قد ارسلتُ رهباني الى بلادٍ بعيدة
ليبشروا بالتوبة والملكوت . وقاسوا في سفرهم
أنواع المصائب . والبلايا العارضة للفقراء من
الجوع والعطش والحر والبرد وغير ذلك . فماذا
يقولون عني حيث طرحتهم في المضايق
متخليا عنهم . فقال الكردنال : لماذا ارسلت
رهبانك الى بلاد بعيدة وكلفتهم تلك المشقات
فقال : يا سيدي هل ظننتَ أنّ الله ارسل
رهباني لتخليص اهل إيطاليا فقط . بل أرسلهم
لخلاص المؤمنين كافةً وللكفرة ايضاً . ليجذبوهم

الى الحيوة وينذرونهم بايمان المسيح واللديهة لهم بجميع ضرورياتهم • فرضي الكردنال بجواب مار فرنسيس • ولم ياذن له بالذهاب الى فرنسا فاكتفى فرنسيس بان يرسل رهبانه اليها ☼

الفصل الثاني والثلاثون

في مجمع الرهبان المعقود في كنيسة السيدة الملائكية

وبعد ذلك عاد فرنسيس الى كنيسة السيدة • وارسل كتابات الى رهبانه المتفرقين في البلاد • وامرهم ان يجتمعوا ويحضروا في كنيسة السيدة لينظر في احتياجاتهم الضرورية ☼ وفي سنة تسع عشرة ومايتين والف للميلاد

المسيح اجتمع الرهبان في كنيسة السيدة. ولذلك عمل اهل اسيسيا لهم بيوتًا من البردي والزلّ على هيئة دير. وكان البعض منهم مواظبين على الصلوة والعبادة والبعض مهتمين بخدمة الكهنة. والحاصل انّه لم يوجد فيهم احدٌ بطّال. وكلّ من حضر هذا المجمع فرح فرحًا عظيمًا اذ رأى صدق قول يعقوب اسرائيل: ها هوذا صفوف الله وهو في وسطهم * وكان الرهبان ينامون على الارض وفراشهم التبن ووسائدهم الحجارة. فشاع خبرهم. واجتمعت الناس اليهم. وأتتهم عدّة من الكردينالات والأساقفة

وأعيان المدينة . وذلك إمّا للزيارة وإمّا ليروا فرنسيس رئيس هؤلآء الرهبان الذي جذب من الدنيا جمعاً غفيراً من الرجال الى رهبنته لعبادة الله ❊ فاذ اجتمع كلّ الرهبان امرهم فرنسيس بالطاعة للكنيسة الرومانيّة . والصلوة والمحبّة بعضهم لبعض . والتواضع لكل الناس والطهارة والعفة والفقر الانجيليّ . واحتقار العالم واموالهِ والتوكّل على الله . وأن لا يهتمّ احد منهم بالمأكل والمشرب ❊ وإنّ مار عبد الاحد لمّا رأى وصيّة فرنسيس خاف على رهبانه أن يعدموا الحوائج الضروريّة من المأكل والمشرب مشتغلين

عنها بالصلوة وعبادة الله تعالى. فحرّك الربّ
قلوب اهل المدن والقرى وتصدّقوا عليهم.
فأتوا الى كنيسة السيّدة بعد التعب الوافر
محمّلين على البغال والحمير والعجلات شيئًا
جزيلاً من الخبز والخمر والزيت والجبن
والدجاج والسمن وغير ذلك. واتى البعض
بصحون فاخرة ومناديل وجوخ لكسوة
الرهبان. وكانت الاكابر تخدمهم على
المائدة. فلمّا راى مار عبد الاحد ذلك صدّق
متأكدًا انّ الله يرسل احتياج عباده حين
الضرورة. وتحرّكت قلوب اكثر الحاضرين
الى الدخول في الرهبنة. وترهّب منهم

خمساية رجل ٭

ثمّ انه وصل الخبر الى فرنسيس أنّ
غالب الرهبان يلبسون الحديد على
أجسادهم ويتزنّرون بزنّار من حديد .
وقدمات البعض منهم من شدّة الرياضة
وبعضهم مرضوا . فللوقت امر كلّ رهبانه
أن يظهر كلّ من هو لابس الحديد . فظهر نحو
خمساية رجل في تلك الساعة . فامر
القديس أن لا يلبس احد منهم شيئاً من
الحديد على جسده ٭

الفصل الثالث والثلاثون

في بقآء القانون على شدّته

وحدث في المجمع أنّ البعض من روسآء الرهبنات اتّفقوا مع احد الكردنالات لكي يحامي عنهم بترخيص القانون وتخفيف الرياضة من شدّة الفقر وغيره ويجعلوهُ مطابقًا لاحد القوانين كقانون ماربندكتس او غيره . فتكلّم الكردنال مع القدّيس فرنسيس عن هذا الاتّفاق . فمسك فرنسيس بيد الكردنال واتى الى المجمع امام كلّ الروسآء وقال يا اخوتي اعلموا أنّ الله ارشدني الى طاعته وخدمته في الفقر والتواضع والرياضة من

جهة الماكل والمشرب والكسوة . وارشد الى
هذا السبيل كلّ من اراد أَن يتبعني . فلا
يخاطبني احد عن تخفيف هذا القانون وترك
شيءٍ منهُ لأنّ الله ايّدني على طريقة الفقر والتواضع
وترك الدنيا رغبةً في الملكوت . وانتم بدلائلكم
العقليّة وعلومكم الظريفة تريدون أَن تغيّروا
قانوننا . فاطلب من الهي أَن يعذّبكم بمعصية
الشيطان فيعود كل منكم الى شانهِ الاوّل .
فسكتوا جميعًا ولم يتكلّموا من شدّة خوفهم *
وبعد ما انصرف الرهبان بزمن قليل
علم فرنسيس بوحي الهيّ أَنهُ بينما كان
الرهبان مجتمعين اجتمعت من الشياطين

في مكان قريب من مدينة اسيسيا نحو ثمانية عشر الف شيطان لينظروا كيف يعملون الحيلة ويتدبروا في هدم قانون فرنسيس وترجيته في ابوابه العسرة ويردّوا الرهبان الى حبّ العالم . فوقع خلاف بينهم . فمنهم من قال نفعل كذا ومنهم من قال بل نصنع كذا . فقام في وسطهم شيطان وقال للجميع : إنّ فرنسيس ورهبانه قد تركوا الدنيا ولذّاتها وتمكّنوا في محبّة الله والفقر والتواضع . فلن نستطيع أن نزعجهم عن ذلك . فرايي هو ان نصبر حتّى يموت فرنسيس وحينئذٍ نستولي على الداخلين في الرهبنة من الشباب

والعلماء والكمالي في خدمة الله وحب الفقر وسائر الفضائل الواجبة على الرهبان ٠ وتحولهم الى حب الدنيا ولذاتها وحب الجسد وطلب الدرجات العالية ٠ وهكذا نتسلط عليهم ونخرجهم من القانون والفقر والتواضع ٠ فارتضى كل الشياطين وقالوا له قد احسنت في مقالك هذا ٠ وانصرفوا ☼

الفصل الرابع والثلاثون

في استشهاد خمسة من الرهبان ودخول مار انطونيوس

لما فرغوا من النظر في جميع امور الرهبان وحوائجهم ارسل فرنسيس رهبانه الى بلاد مختلفة من النصارى والكفرة ٠ وخمسة منهم

القديس فرنسيس . فلما رآه ترحب له وقبّله بكل فرح وسرور لقداسته وعلمه وسيرته . ثم بعد زمن وجيز اذن له أن يكرز ويرشد . وصار المعلم الاول في رهبنته في اللاهوت . وهذا هو مار انطونيوس البدواني المشهور الذي ذاع خبرهُ في اربعة أقطار العالم لكثرة آياته ومعجزاته وتعليمه وارشاداته للشعب المسيحي وللامم الخارجين *

واتفق لاثنين من رهبانه كانا مسافرين أنهما جاء عليهما المساء . ولم يجدا خبزاً ليأكلا . فاتيا الى كنيسة من الكنائس .

فطلبا شيئاً ليأكلا من القسّيس الذي فيها . فقال لهما : ليس عندي شيء . فمشيا وهما مجهودان من الجوع وقد خارت قوّتهما وتغيّرت وجوههما . فلقيهما رجل شاب وسألهما قائلاً : ما لي اراكما حزينين مكروبين وقد اصفرّت وجوهكما بالامس شدّة الجوع . فتصدّق عليهما الرجل برغيفين . وقال : يا قليلي الايمان لماذا تتذمّرون في انفسكم . اما تذكرون قول رؤسكم المأخوذ من الزبور الالهي . وهو ألقِ همّك على الربّ وهو يعولك . واعلموا ان الله ضيّقكم بالجوع لقلّة ايمانكم . وغاب

الشاب عنهم *

وممّا جرى من ذلك أنّ اثنين آخرين دخلا مدينة ما . فانزلهما رجل في بيته . فلمّا تعشّوا قالا لصاحب البيت : ابنِ لنا بيوتًا في ظهر المدينة ونحن نضمن قدّام الله أنّه يردّ لك كلّ النفقات التي تصرفها على العمارة من كرمه الفائض . فاجاب الرجل الى ذلك . وصنع لهما ما طلبوهُ . وفي احد الأيّام ارسل خادمهُ الى البيت ليأتي بدراهم ليعطيها للمعلّمين والفعلة . فذهب الخادم فلم يجد الدراهم . فرجع واخبر سيّدهُ بالامر فحزن جدًّا واشتكى على الراهبين

من اجل نقود النفقات . فقالا له : امضِ انت بذاتك . وانظر ماذا يفعل الله . فمضى وفتح الصندوق . واذا الدراهم التي صرفها على الراهبين بعينها ومعها كيس آخر غيرها . ففرح جدًّا واتى الى الراهبين . وسقط على اقدامهما . واخبرهما بما جرى وشكروا الرب جميعًا . وفي مدة يسيرة كملت عمارة الدير *

الفصل الخامس والثلاثون

في ذهاب فرنسيس الى مصر وانذاره لملكها بالانجيل

بعد ما فرّق القدّيس رهبانهُ في نواحي البلاد عزم أن يسافر الى مصر لينذر ملكها

بالانجيل ويجذبه الى ايمان المسيح ، واخبر رهبانه بقصده ، فعزموا جميعًا أن يرافقوه في سفره هذا ، فاخذوا يسيرون حتى بلغوا الى ساحل البحر ، فكلّمهم فرنسيس وقال لهم : الآن تحقّقت أنّ مجيئكم معي لم يكن الا لحبّ المسيح ، ولكن قد فهمتم أنّ السفينة ضيّقة ، فلا يأتينّ معي الآن من يريد الله ذهابه ، لترجع البقيّة الى الدير ، ولا يتصدّع خاطر احد منكم نعرض على هذا الصبي الذي ما يعرفنا أن يختار منكم من يرى ، فرضي جميعهم بذلك ، فنادى فرنسيس الصبي وقال له : يا ولدي هل يريد الله أن

تذهب كل هؤلاء الرهبان معي . فقال : لا .
فقال له فرنسيس : ومن هم الذين يريدهم
الله أن يسافروا . قال الصبي : هذا وهذا الى
أن وصل الحادي عشر وسكت . فدخلوا في
السفينة مع القديس . والآخر رجعوا الى
الدير *

وبعد مدة بلغ فرنسيس ورفقته الى مصر
اذ كانت النصارى الافرنج يحاصرون
مدينة دمياط . وكان امر السلطان أن يقتلوا
كل من فيها من النصارى . ووعد كل من
يأتيه برأس نصراني أن يعطيه ذهبًا . فاذ
سمع فرنسيس هذا الخبر فرح فرحًا عظيمًا

لانّهُ طالما كان يتمنّى أَن يموت شهيدًا من اجل المسيح . فقام وصلّى وقدّم الشكر لله ومضى الى عسكر المسلمين . وقال لهم : لي شغل عند السلطان واريد أَن اخبرهُ بامر مهمّ . فلمّا سمع الوزير هذا المقال ظنّ أَنّ هولآء الرهبان اتوا ليعملوا صلحًا فاذن لهم بالدخول . فلمّا دخلوا وانتهوا الى السلطان سالهم عن غاية مجيئهم اليهِ . فقال فرنسيس : اعلم ايّها السلطان أَنّهُ لم يامرنا احد بالقدوم اليك والوقوف بين يديك لا سلاطين ولا امرآء بل الله الذي ارسلنا اليك متحنّنًا عليك على اهلاك لمّا رآكم

ضالّين عن طريق الحقّ ومعرفته الحقيقيّة ليهديكم الى طريق الخلاص . وتفلتوا من جهنّم . وهذا الطريق هو الايمان بأنّ المسيح إله تامّ وإنسان تامّ جاء الى العالم لانقاذنا من الخطيّة وعبوديّة الشيطان والوصول الى ملكوته . ولهذا مات على الصليب ليفي عن خطايانا . وما كسبه لنا بموته يمنحنا اياه حينما نحصل على سرّ المعموديّة التي بها نولد فيه للحيوة الابديّة . ايّها الملك افتح عيني ضميرك ولا تحتقر ما يكلّمك به اليوم الباري تعالى . اقبل في نفسك نعمته وبها تحجب الظلمات الحالكة انت فيها الى الآن .

افتكر ايها الملك انك ستقف بين يدي الديان على افعالك وافعال اهلك جميعاً ويجازيك عنها * قال فرنسيس هذه الأقوال وما اشبهها مثلما الهمه الباري تعالى في تلك الساعة . وتيقّن كلّ الحاضرين من حواشي الملك انّ هذه الأقوال صدرت بقوّة الله . والملك شكر فرنسيس . وسألهُ عن أشياء كثيرة تعتقد بها النصارى وامرهُ أن لا يرجع الى بلاد النصارى . فقال : ايها الملك إن اردتَ أن تتمسك بدين المسيح مع اهلك رضيتُ أن لا امضي الى بلادي . وإن شككت في ما قلتهُ لك عن ديانتنا ففي هذه

الساعة يظهر الحق ، مر اتبها الملك أن يوقدوا نارًا شديدة ، وناد مشائخ ملتك ، وندخل جميعًا في النار ، وكل من ينجو من النار فذالك دينه حق ، قال الملك : اظن أنهم لن يفعل ذلك احد من مشايخنا ، وتحقق قول الملك ، لانه كان في المجلس رجل من المشائخ لما سمع قول فرنسيس هرب من المجلس من خوفه أن يامره السلطان بالدخول في النار ، فقال فرنسيس للملك : اذا وعدتني أنك تقبل دين المسيح فانا وحدي ادخل في النار فقال : لا يمكن اليوم أن اقوم بذلك ، لانّي مشتغل بتدبير الجنود وامور الحروب ※ وهذا الملك وله

أنه لم يطع ويعزم أن يعتمد فقد حفظ في قلبهِ
كلّ ما قاله مار فرنسيس . وعرض عليهِ أن
يعطيه ما يحتاجهُ من الدراهم والكسوة لهُ
ولرهبانهِ . فابى فرنسيس ولم ياخذ شيئًا .
فتعجّب الملك من ذلك . واستاذن فرنسيس
من الملك أن يكرز في مملكتهِ . ولمّا خرج
طلب منه ان يزورهُ بعد مدّة . فارسل رفقته
الى بلاد مصر وسوريّا ليكرزوا . فكانوا ينذرون
بالانجيل . ولم يعارضهم احد في ذلك حرمةً
لامر السلطان ☼

واتفق أنّ فرنسيس نزل في بيتٍ واحدٍ
من الأسلام ليستتر من المطر . وكان في ذلك

لبيت امرأة جميلة الصورة قبيحة السيرة، الشيطان ألقى في قلبها أن تكلف بفرنسيس وتعشقه، وقامت في احدى الليالي وشعلت نارًا في حجرته قبل مجيئه لكي تدفع البرد عنه، فاتى ودخل الحجرة كعادته، ولما انتصف الليل جاءت المرأة نحو حجرة القديس وفتحت الباب، وراودته عن نفسها، فتعجب من هذا الامر وقال لها: انا مستعد أن اخطى معك بشرط أن تفعلي كل ما آمرك به، قالت: نعم، فقام فرنسيس وبسط النار كالفراش، وامتد عليها، ينادي تلك المرأة قائلاً: تعالي نامي معي

على هذا الفراش . فانذهلت المرأة من هذا المنظر . واذ رأت أنّه لا يحترق رجعت الى نفسها . وتابت عن خطيتها . ثمّ اعتمدت وصارت مسيحيّة . وعلى يدها و بهمّتها كثير من الأسلام اقتبلوا الديانة المسيحيّة اذ استدلّوا على قوّة القدّيس من أنّه انضجع على الجمر ولم يحترق *

ومكث في تلك القرية مدّة مدمنًا على ارشادهم بأبواب الديانة . ثمّ انصرف القدّيس من تلك الارض وجاء الى دير من اديرة مار بندكتس *

الفصل السادس والثلاثون

في تنصّر ملك مصر واعتماذهِ وموتهِ

إنّ مار فرنسيس ورفاقهُ بلغوا الى ديرٍ لرهبان مار بندكتس كان قريبًا من انطاكية نحو عشرة اميال . ومكثوا فيهِ مدّةً من الزمن . فلما شاهد رهبان بندكتس فضائل فرنسيس ودقّة سلوكهِ وفقرهُ تركوا قانون رهبنتهم وتبعوا رهبنة فرنسيس ❊ وفي ذلك الوقت اتّفق لاثنين من رهبان فرنسيس أنّ احد الأَسلام قدّم لهما دراهم صدقةً . فلم يقبلاها . فسألهما عن السبب . فقالا : نحن قد تركنا الدنيا وما فيها من اجل محبّة الله والفقر .

فتعجّب ذلك الرجل ، وقال لهما : اذا بقيتما في
بلادنا هذه فانّي اجلب لكما كلّ ما تحتاجونه
ومن ذلك اليوم صار ذلك الرجل يضيف
في بيته كلّ مَن جاءهُ من الرهبان الى حين
رجوعه الى بلده . فلمّا راى الأسلام هذا الامر
حسدوا امار فرنسيس ورهبانهُ وعزموا على
قتلهم . فلم يقدروا من سبب امر الملك
الذي كان معهم . فطفقوا يلعنونهم
ويسبّونهم ويضطهدونهم ❊
ثمّ إنّ فرنسيس عند أن يزور الملك قبل
ذهابه الى بلاد ايطاليا . فسافر في فصل الشتاء .
ولمّا بلغ الى الملك اخبرهُ بكلّ ما جرى لهُ في

سفره . وحينما اراد الخروج كلّمهُ الملك سرًّا وكاشفه أنّهُ اطّلع على كلّ ما تعتقدهُ النصارى وعرف حقّ المعرفة أنّهُ هو حقّ لا ريب فيهِ . وقال : اريد أن اعتمد ولكنّ الوقت ما هو موافقًا لذلك لأنّ الجند مشتغل بحرب النصارى . وطلب منهُ أن يرشدهُ في كلّ ما يخصّ الديانة المسيحيّة وأسرارها . ووعد أن يصير مسيحيًّا مجتهدًا بعد فروغهِ من مصالح المُلك . قال لهُ فرنسيس : بعد ايّام قليلة اردّ لك الجواب * ومن تلك الساعة شرع فرنسيس يواظب على الصلوة والعبادة والطلبة في امر الملك

وخلاصتهم . ولم يهدأ الى أن استجيبت طلبتهُ هذه * واوحى الله اليهِ أنّ الملك ناجٍ من جهنم . فقام ومضى الى الملك . وقال لهُ : انّ الله تعالى امرني بالذهاب الى بلاد إطاليا . ولكنّي ارسل اليك اثنين من رهباني في الوقت الموافق وهما يرشدانك في خلاص نفسك كما اوحى الله اليّ . ففرح الملك . وطلب فرنسيس الاجازة وانصرف ورحل الى بلاد إطاليا *

ومن بعد زمنٍ مرض الملك . فعلم فرنسيس في ضميرهِ بمرض الملك . فظهر في الرؤيا الاثنين من رهبانهِ في سوريا وامرهما

أن يقوما وينطلقا الى ملك مصر. فلمّا قدما
اليه وجداه مشرفاً على الموت. واخبراه
بأحوال فرنسيس. وكلّماه عن امر الديانة
المسيحيّة والملكوت. فآمن بكلّ ما تؤمن
به الكنيسة المقدسة. فعمّداه بسم الاب
والابن وروح القدس. وبعد برهةٍ قليلة
مات وذهب الى الملكوت * وكان هذا
الملك من وقت انصراف فرنسيس الى
حين موته يحبّ المسيحيّين محبّةً خصوصيّةً
حتّى انّ اكثر اهله صاروا مسيحيّين *
قال يعقوب الفتري الكردنال في
أخبار الحروب التي شبّت بين النصارى

والأسلام من اجل القدس : قد راينا فرنسيس رئيس الرهبنة الصغرى مكرّماً عند الله والناس . وحين محاصرة النصارى مدينة دمياط انطلق الى سلطان مصر ودخل بين العسكر وهو يقول لي حاجة عند الملك . فلمّا شاهدهُ الملك تصادق معهُ ووالاهُ مع أنّهُ كان عدوّ النصارى . واطاعهُ في كل ما ارشدهُ بهِ من امور الديانة * قد اوردنا هذا القول لنؤيّد صدق ما رويناهُ عن أحوال فرنسيس وما حدث لهُ في مصر ونواحيها *



الفصل السابع والثلاثون
في التجارب اللحميّة
التي بها كان الشيطان يجرّب فرنسيس

ولمّا رجع الى إيطاليا عمد الشيطان أن يمنعهُ عن صنع الخير الى الناس. لكي يتبعه ويعذّب روحه وجسده بتجاربه، فالقى في قلبه مللاً شديداً لم يبرح منه مدّة سنتين. فكان اذا صام وصلّى واجتمع مع رهبانه للمذاكرة الروحيّة فعل ذلك بغير شوقٍ ولذّة روحيّة. فلمّا كان يوماً مشغولاً بالصلوة سمع صوتاً يخاطبهُ ويقول: يا فرنسيس لو وُجد عندك حبّة من الايمان لامرتَ هذا

الجبل أن ينتقل من مكان الى مكان . فقال فرنسيس : الهي وما هذا الجبل . فقال الصوت . هو الملل والتجربة . قال فرنسيس . يارب لتُقضَ فيّ كلمتك . فزالت عنهُ التجربة في الحال . ورجع على شانه الاوّل من الشوق والنشاط ☼

واذ كان طائفًا يبشّر بالانجيل والتوبة . وصل الى دير من اديرته فرمدت هناك عيناهُ مدّة خمسين يومًا . فارسل اليهِ بعض الاغنياء وسادةً لينام عليها . فلما وضعها تحت راسهِ لم يقدر أن ينام ويصلّي من شدّة الارتعاش الذي استحوذ عليهِ . فافتكر أنّ الشيطان

دخل في الوسادة فدعا احد تلاميذهِ وامرهُ
أَن يلقي المخدّة خارج الحجرة . فاخذها
وخرج . ووقف في مكان واحد لا يقدر ان
يتحرّك . فدعاهُ فرنسيس لانّهُ تعجّب من
بطئهِ . فاذ سمع صوتهُ رجع الى ذاتهِ . واتى
الى فرنسيس وقال : انّي سمعتُ امس
بالشيطان حينما دخل الى حجرتي وقت
صلاة الغروب . واذ علم انّهُ لا يقدر أَن
يضرّني ويمنعني عن الصوم والصلوة
حرب عنّي *

وحينما اشتدّ الرمد عليهِ اجلسوهُ في
قلاّية مظلمة لمنع الضياء . فهيّج الشيطان

عليهِ الغار لتمنعهُ عن النوم والراحة . وآذ شعر
بفعل الشيطان هذا استغاث بالله قائلاً: الهي
اسالك المعونة على هذهِ التجاريب
والأوجاع لاصبر عليها من اجل محبّتك .
فسمع صوتًا يقول : يا فرنسيس إن وعدك
احدٌ بكنز فضّة اوذهب اوجواهر عوض هذه
المشقّة افما تأخذها . قال نعم . وكرّر القول عليهِ
افرح في نفسك لانّي وعدتك بالملكوت .
فقام فرنسيس فارحًا وذهب الى رهبانهِ وقال
لهم اذا اعطى الملك لاحدٍ مُلكًا افما
يفرح . قالوا نعم . قال : فالواجب عليّ أنَ
افرح بكلّ ما يعرض لي من الشدائد . لانّ الله

قد وعدني بالملكوت ❊ ومن ذلك الحين · كانت عليه الأحزان والشدائد والأمراض · أمّا الشياطين فلم يزالوا يجرّبونه · وكانوا كلّما قام ليصلّي في البرّيّة يظهرون له بأشكال وأشباح مختلفة ليفزعوه ويخيفوه ليمتنع عن الصلوة · وكان هو كلّما اشتدّوا هجومًا عليه وجدوا أنّا يتشجّع ويتقوّى قلبه وعزمه في عبادة الله · وأحيانًا كان يقهرهم ويبكّتهم بقوله : تعالي أيّتها الأرواح الخبيثة الشرّيرة اضربيني وافعلي بي ما تريدين · لأنّي متيقّن أنّك ما تقدرين أن تضرّيني ❊

ودخل مرّة الى الكنيسة وصلّى · وبعد

الصلوة اراد أن ينام قليلاً، فوضع راسهُ على الصخرة فسمع أصوات الشياطين، فرسم على ذاتهِ اشارة الصليب، وخرج خارج الكنيسة وتكلّم معهم قائلاً: اسالكم باسم الله تعالى أن تفعلوا بي مهما اردتم لانّي مهيّأ أن اصبر على جميع البلايا والمصائب من اجل محبّة الله، وليس لي في الدنيا عدوٌّ الّا جسدي لانهُ يميل بي الى هواهُ ويمنعني عن خدمة الله وطاعتهِ ومنفعة نفسي الروحيّة، فاذ سمعت الشياطين أقوالهُ هذه غابت عنهُ، وعلموا أنهم كلّما ضعّفوا جسد فرنسيس تشتدّ نفسهُ وتقوى في خدمة الله ومحبّتهِ

فجعلوا يجربونه في محبّة الدنيا واللذّات الدنيويّة حتّى يخرجوه من نير الطاعة لله ❊

الفصل الثامن والثلاثون
في غلبته لتجربة ملك نابلي

إنّ فرنسيس كان يطوف مبشّرًا في بلاد نابلي. فاتى الى كنيسةٍ مجاورة لدار الملك وكرز فيها كرزًا طيّبًا. وكثير من أعوان الملك حضروا وعظه. فاخبروا الملك بذلك وذكروا له أنّه قال عن اصحاب الشهوات واللذّات العالميّة بانّهم لا يدخلون ملك الله. قال الملك: نعم انّ الكوارز ينهون عن الشهوات وينذرون بالعفّة

والطهارة ، ولكن على ظنّي لا يفعلون مثلما يقولون ، وقصدي أَن يدعو احدكم ذلك الكاروز الى بيته ، ويجرّبهُ فيرى هل يفعل مثلما يقول . ففي احد الايام اضاف رجلٌ من أعوان الملك فرنسيس الى بيته للعشاء ، وبعد أَن فرغوا من العشاء ذهب به الى حجرة مزيّنة مفروشة وفيها نار لانّهُ كان شتآء ، وقال لهُ : استرِح وارقد هنا ، فقال فرنسيس : إنّ هذا المكان لا يناسبني انا الفقير بل يجب عليّ أَن اضطجع على التبن واسند راسي على وسادة من حجر . فقال : انت الليلة ضيفي ويجب عليّ أَن

اكرمك ، ومضى وترك باب الحجرة مفتوحًا ،
فلمّا صار نصف الليل ارسل اليهِ جاريةً
بارعةً مزيّنةً بافخر الملابس كأنّها بدرٌ وقال لها :
ان املتِ هذا الواعظ واوقعتِهِ معك في
الخطيّة اعطيتكِ مائة دينار فذهبت ونطرته
حتّى فرغ من الصلوة وهجع وهو لا يدري
بشي ، فدخلت الجارية ودنت من فراشهِ ،
فلمّا رآها القدّيس تعجّب منها وسألها ، ماذا
تريدين ، قالت : جيتُ تعمّدًا لاخطي
معك ، وان اذهب من هنا حتّى اقضي
وطري منك ، قال : حبًّا وكرامةً امهليني أن
افرش الفراش ، فقام وبسط النار كلّها

كالفراش . واضطجع على الجمر الملتهب . يدعا المرأة عنه . فلمّا رات الجارية الآية اعترفت بعظمة خطيّتها . وطلبت الغفران منه . وكلّ الواقفين على الباب اذ عرفوا الامر ايضًا طلبوا منه الغفران واعترفوا بخطيتهم خوفًا من أن يعاقبهم الله بسوء ما صنعوا بوليّه فسمع السلطان بما جرى واستدعى فرنسيس عنده واكرمه . وطلب الغفران عن خطيته . وسالهُ أن لا ينسى اهلهُ من الدعآء فتاكّد عنده حينئذٍ أنّ عمله مطابق لقوله ٭ وهكذا انتصر القدّيس على تجاريب الشيطان بصبره واحتماله

الشدائد واستمراره في محبة الله واشتياقه الى الملكوت. وبذلك نجّى رهبانه ايضًا من تجاريب الشياطين ومكرهم. لانّ الله كان قد منحهُ قوّةً على الشياطين مجازاةً لسلوكه في الفضائل والصبر والاحتمال *

الفصل التاسع والثلاثون

في اهتمامه برهبانه ان ينجوا من التجارب

يومًا ما حرّك الشيطان تجربة في الزنا على واحد من رهبانه كان تقيًا صالحًا. والقى في قلبه وسوسة قبيحة وافكارًا رديّة حتى يئس من الصبر عليها. وكان يصعب عليه ان يعترف بها للقسيس من شدة الحياء. وبينما

فهكذا ارسل الله تعالى اليهِ فرنسيس ، وحين وصولهِ نادى ذلك الراهب وقال له : يا اخي انا قد عرفتُ الشدّة التي انت فيها من قبل تجاريب الشيطان ، والآن آمرك أَن لا تعترف بها ابدًا ولا تخاف . لانه لا يقدر أَن يلقي في قلبك شيئًا من هذا الوسواس ، ومتى القاهُ في قلبك فالأخير على ركبتيك ، وقل ثلاث مرّات ابانا الذي ، فتخلص نفسك منه برحمة الله ، ففعل مثلما امرهُ القدّيس ، ونجا بالكلية من تجاريبهِ ❊

ثمَّ إِن احد الرهبان خالف امر رئيسهِ ولم يرد أَن يعترف بذنبهِ لهُ كعادة

الرهبان . فرأى فرنسيس أنَّ الشيطان
ركب على كتفيهِ يريد ان يخنقهُ
فاستدعى فرنسيس احد رهبانهِ وقال لهُ :
يا اخي انظر هذا البائس كيف تسلَّط
عليهِ الشيطان وعن قليل سيخنقهُ . فاذهب
اليهِ وقل لهُ أن يتضع في نفسهِ لرئيسهِ
لئلاَّ يتسلَّط عليهِ الشيطان مرَّةً ثانية .
فمضى واخبرهُ بكل ما صار . فانقاد
واعترف حالاً بذنوبهِ امام الرئيس . وقبل
القانون ووفاءهُ . وغاب الشيطان عنهُ ❊
وبالاكثر قد اتضح سلطان فرنسيس
واستيلاؤهُ على الشياطين بما جرى لهُ

مع تلميذهِ رُفينوس. وذلك أنّ الشيطان القى في قلب رفينوس أن يقطع رجاءهُ من الخلاص ويظنّ أنهُ لن يدخل الملكوت وأنهُ ليس من المختارين. كما هو من عادة هذا العدوّ الخبيث أن يفعل مع جميع الاتقياء. ورفينوس كان رجلًا فاضلًا طاهرًا في أعمالهِ. والشيطان يقول لهُ: انّ الصوم والصلوة وفضائل الرهبنة ليست بشي. وأمّا هو فلم يخبر احدًا بتجربتهِ. وازدادت عليهِ التجربة. حتى انهُ يومًا من الايام ظهر لهُ الشيطان على صورة المسيح المصلوب قائلًا لهُ:

يا مسكين يا شقي لماذا تعذّب نفسك
بالصوم والرياضات. فليس لك نصيب
في الملكوت. ومهما فعلتَ فلا يفيدك
شيئًا. ومن إشفاقي عليك اخبرتُك بالحال.
وكلّمتُك بهذا المقال. لئلّا تتعذّب الآن
وفي الآخرة. ولئلا تقتدي بهذا الرجل
المسمّى فرنسيس الذي تظنّهُ قديسًا من
القدّيسين. لانّهُ هو وكلّ تابعيهِ محرومون
من الملكوت. وبعد ما فرغ الشيطان من
هذه الأقوال غاب عنهُ فاشتدّ حزنهُ الى الغاية
حتى يئس من خلاصهِ. وإنّ فرنسيس
كوشف على هذه الامور بوحي الاهي

فارسل احد رهبانه اليه ليناديه من المحل
الساكن هو فيه . ولمّا وصل الراهب بلّغه
قول فرنسيس . فقال رفينوس: اذهب عني
ليس لي حاجة الى فرنسيس . فتأكّد
الراهب أنّ الشيطان اغواهُ بالتجربة . وقادهُ
قائلاً: يا رفينوس اتدري ما تكلّمتَ . اين
عقلك . اما علمتَ أنّ فرنسيس هو كملاك
على الارض . والباريء تعالى خلّص
ويخلّص كثيرين من النار على يده ونحن
رهبانهُ اما جذبنا الله من الدنيا الى عبادته
وطاعة فرنسيس . فانا اريد أن ترافقني
الى فرنسيس لانّهُ ارسلني في

طلبك ، فلما سمع رفينوس قول الراهب لم يتفوّه بشيء . بل قام لوقته ورافقهُ الى فرنسيس . واذ وقف بين يديه خلّى الشيطان سبيلهُ وترك عنهُ التجربة . وحينئذٍ اقرّ واعترف امام فرنسيس بخطيئته التي كان قد اخفاها عنهُ قبلاً . وطلب الغفران بدموعٍ سخينة . فقال لهُ فرنسيس : اعلم يا ولدي أنّ الشيطان يقسّي قلب الانسان . والله تعالى بالعكس يليّنهُ . كما قال بلسان حزقيال النبي : انا ازيل قلوبكم الصخريّة واعوّض لكم قلوبًا لحميّة . انّي اشكر الله تعالى حيث انعم عليك وازال

قساوة قلبك ، وعرّفك شر الشيطان ، فاذهب اعترف بخطيتك ، وادمن على الصلوة والعبادة ، وستعود الشدة التي كنت فيها فرحًا وسرورًا ، وان عاد العدوّ ليجرّبك فقل لهُ : يا شيطان يا ملعون يا خبيث افتح فاك لأتغوّل فيهِ ، فمضى رفينوس الى الكاهن واعترف بخطيتهِ ، وانصرف الى محلّهِ ، وعند وصولهِ ظهر لهُ الشيطان ثانيةً كالاوّل على صورة المصلوب ، وقال لهُ : اما قلتُ لك لا تعتقد بمقال فرنسيس ، فلم ينتظر حتى اتمّ مقالهُ بل قال لهُ : يا ملعون افتح فاك كي اتغوّل فيهِ ، فلما سمع

الشيطان جوابهُ خرج من المكان غضبان، واخذ يقلع حجارةً من الجبل، ويضرب بها بعضهما ببعض بقوّة حتى ظنّوا أنّ الجبل سقط من شدّة الصوت، واذ سمع فرنسيس أصوات صدم الجبل خرج مع رهبانهِ من الدير ليفحصوا عن السبب. فلما راوا الأصوات اتية من الجبل الكائن فيهِ رفينوس علم فرنسيس أنّها من فعل الشيطان، واتى حالاً رفينوس الى مار فرنسيس واخبرهُ بكلّ ما جرى وعاد الى محلّهِ، واذ دخل اتاهُ صوت من المسيح قائلاً: احسنتَ الى نفسك يا رفينوس

يسمعك قول فرنسيس . ولذلك لا يتسلّط الشيطان عليك بعد الآن ابدًا . ففرح رفينوس فرحًا عظيمًا ولم يعُد الشيطان يوسوسهُ ابدًا *

الفصل الاربعون

في تواضع مار فرنسيس

انّ مار فرنسيس لم يغلب الشياطين ولم يصل الى قمّة الفضائل كافةً الّا بتواضعه . لانّ التواضع هو ابو الفضائل . اذ ينشئها في الانسان ويربّيها في قلبه . ولذلك ارتقى فرنسيس الى قمّة الفضائل حيث جعل نفسهُ احقر جميع الرهبان

واذلّهم واعصى الناس واكثرهم خطأً مع كثرة الكرامات والفضائل التي شاع بها. واسّس هذا البنآء الروحي على التواضع، حسبما نرى ما فعل حين خروجه من بيت ابيه، حيث ترك الدنيا. وذلّ نفسه بين الناس حتى ظنّوه مجنونًا. وصبر على الذلّ والهوان *

وقد تعلّم طريق التواضع من المسيح الذي قال في انجيله المقدّس: تعلّموا منّي فانّي وديع ومتواضع القلب * ومن كثرة تواضعه كان يستتر كلّ ما يصنعه الله فيه * واتفق أنه يومًا ناداه واحد وقال له: يا قدّيس،

فاجابهُ : لا تقُل قدّيس لانّ الحمد والثناء لا يختصّ لاحدٍ الّا لمن استمرّ في خدمة الله الى الموت . والانسان ما دام حيّاً على الارض يمكن أن يسقط في الخطيّة . ولو فرضنا أنّه لا يخطيء ابدًا فانّ الحمد والثناء يجب لمن منحهُ الله تعالى القوّة وثبت في طاعته بالصوم والصلوة وسائر الفضائل ❊

وفي احد الايّام اراد احد الرهبان أن يجرّب فرنسيس بلطفٍ ليمتحن تواضعهُ . فقال لهُ : لماذا هذا الامر وهذا الحال . فقال لهُ فرنسيس : ماذا مرادك أن تقول لي ايها الراهب . قُل ما بدا لك . فقال الراهب : إنّي

اري الناس جميعًا يتردّدون اليك ويسمعون مقالك وما يخالفونك • وانا متعجّب ومتحيّر من ذلك • لكونك لست جميل الصورة وغير عالم فاضل فصيح كامل • والناس تاتي اليك بالمحبّة والطاعة • فقال لهُ: صدقتَ في قولك • لانّ اللّه تعالى اختارني وانا خاطيء ليظهر فيّ قوّته وحكمته اذا صنع الامور العجيبة على يدي ❊ وانّ اللّه بمقدار ما اتّضع فرنسيس باكثر من ذلك رفع قدرهُ في الارض والسمآء ❊

ثمّ انّ رفينوس المذكور اذ كان مرّةً يصلّي راى كرسيًّا مزيّنًا بزينة مفتخرة • ومرصّعًا

بالجواهر فيما بين الكراسي المشرفة. فسال: لمن هذا الكرسي. فقيل لهُ: هذا كان لاحد الأشراف قد طُرد منهُ لمّا عصى ربّهُ وتكبّر. وأُعطي لفرنسيس من اجل اتضاعهِ ❊ فاذ راى هذه الرؤيا قصد أن يتحقّق تواضع فرنسيس. فتصادق معهُ. وجال بينهم الخطاب حتّى قال رفينوس لفرنسيس: انا فدى فرنسيس يا ابانا ما تظنّ بنفسك اخبرني. فقال: انّي عبد خاطئ واظنّ انهُ لا يوجد في العالم اخطأ منّي. قال لهُ رفينوس: كيف يمكن صحّة هذا القول والحال انّنا قد علمنا أنّ اكثر الناس منهم مَن يظلم ومنهم

مَن يقتل ومنهم مَن يسرق ومنهم من يزني ويرتكب بقيّة الخطايا . والشكر لله أنّك طاهرٌ من هذه كلّها فقال: صدقتَ ولكن لو انعم الله عليهم مثلي لاستمرّوا على الطاعة . ولو تركني مثلهم في ارتكاب الخطايا لصرتُ شرّاً منهم بالف مرّة . فاذاً مهما وُجد فيَّ من الخير والصلاح فهو من الله فضل . وانا من ذاتي مستعدّ ومائل للشرّ والخطا ولا ينبغي أن نفتخر بما وُهب لنا * فاذ سمع رفينوس هذه الاقوال تحقّق صحّة الرويا عن تواضع فرنسيس * واعلم انّ فرنسيس ما كان يحبّ أن يكون متواضعاً وحدهُ فقط بل

رهبانه ايضًا ، ولهذا كان يجرّب بهذه الفضيلة كلّ من اراد أن يدخل في رهبنته ☼

الفصل الحادي والاربعون

في اهتمامهِ لرهبانهِ بان يكونوا متواضعين

في احد الايّام وافاهُ رجلان ، وطلبا اليهِ أن يقبلهما في رهبنتهِ . فاخذهما الى البستان ، وقال لهما : افعلا كلّ ما آمركما بهِ ، وشرع يقلع النصب الجديد ويغرسهُ في مكان آخر ، فكان يغرس الغصن بالعكس اعني راسهُ في التراب وعروقهُ الى فوق ، فعمل واحد منهما مثل فرنسيس ، واما الآخر فقال لهُ : يا ابانا ليست العادة هكذا ، بل الشروش

يضعونها في الارض ورؤُوس الأَغصان الى فوق . فقال فرنسيس لا يهمنّك هذا . افعل مثلي . فلم يرد الرجل . وظنّ أَنّهُ معتوه . فالتفت اليهِ فرنسيس وقال لهُ : ايا مولاي علمتُ أَنّك من المتمهّرين بهذا الفنّ . اذهب الى اهلك . لأنّك غير مستحقّ أَن تدخل في رهبنتي . لانها لا تقبل العلماء نظيرك . واخرجهُ من الدير . وأَمّا الآخر فلبس ثوب الرهبنة *

ولكثرة حبّهِ للتواضع امر رهبانهُ أَن يطيعوا الكنيسة الرومانيّة ويكرموا الكهنة . ولا يكرزوا في كنائسهم من دون ارادتهم .

وامرهم ان يخدموا البرص والمرضى ليربّوا
في قلوبهم التواضع ٭ وامر يومًا بعضًا من
رهبانه بخدمة البرص . فقالوا : سمعًا وطاعةً .
ومضوا لخدمة ابرص وفعلوا كل ما طلبه منهم
بلا تمهيل ممّا ينفعهُ ويغيظهُ . ومع هذه الخدمة
كان يشتمهم ويسبّهم ويضربهم . وهم
صابرون على هذه من اجل محبّة الله . وما
نقصوا شيئًا من خدمته . وجاء فرنسيس
ليعودهُ . فلمّا بلغ المحلّ ودخل عندهُ قال لهُ : الله
يعطيك الشفاء والعافية يا اخي . فقال
المريض : ما هذه العافية وهذا الشفاء كيف
أُشفى وقد طال بي المرض . فجعل فرنسيس

يسلّيهِ قائلاً: لا تقطع رجاءك من الله، وهذه الأَمراض العارضة للجسد هي مفيدة للروح، ولذلك يجب أَن تصبر على شدّتها من اجل محبّة الله تعالى. فقال لهُ المريض: كيف استطيع أَن اصبر اذ كان الوجع كالضربات يولمني الليل والنهار، وزاد على هذا عذاب رهبانك لي. فتيقّن فرنسيس أَنّ الشيطان قد استولى عليهِ. فمضى وصلّى من اجلهِ، ثمّ عاد وسالهُ: يا اخي إِن كنت قد كرهت من خدمة هؤلآء الرهبان فانا بنفسي اخدمك. قال لهُ: ما تصنع معي سوى ما فعلتهُ بي رهبانك. قال لهُ فرنسيس: لافعلنّ كلّ ما

نأمرني بهِ. فقال الابرص: اريد أن تغسل جسدي. لانّي هلكتُ من رائحتهِ الكريهة. فأمر رهبانه أن يسخّنوا ماءً ويضعوا فيهِ الحشائش النافعة. فغسل جسد المريض بيديهِ والقشور تقع من جسمهِ الى أن طهر كلّهُ. فلمّا شاهد الابرص فضيلة فرنسيس جعل يبكي بدموعٍ غزيرة قائلاً لهُ: انا مستاهل الف جهنّم من اجل السبّ والتجديف الذي بهِ جدّفتُ على الله والكلام القبيح الذي قلتهُ لرهبانك حينما كانوا يخدمونني. قال لهُ فرنسيس: ايّها الاخ اشكر الله الذي شفاك من كلّ أمراضك

بزخره وبرحمته نفساً وجسماً . ثم انصرف فرنسيس من هناك . وبعد خمسة عشر يوماً اعترف الابرص بجميع خطاياه . وتناول القربان المقدّس . ودُهن بسرّ المسحة . وتوفي في حال النعمة . وكان في ذاك الوقت فرنسيس يصلّي . فظهر لهُ الابرص وهو يضيء كالشمس وقال لهُ : انا هو الابرص الذي شفيتني حينما غسلتني . وخلّصتني من آلامي بصلواتك وتواضعك . والآن انا ادخل في الملكوت واشكر الرب الذي غفر لي على يدك . لانهُ بسببك سيتخلّص كثيرون من العالم . والملائكة تحمد الله كل

يوم على الفوائد والمنافع الجارية للكنيسة منك ومن رهبانك . قال هذا وغاب عنهُ . فقام فرنسيس وادّى الشكر لله على كلّ ما جرى لذلك الابرص * فهذه نبذة من جمّ الفوائد الحاصلة للناس من قبل تواضع مار فرنسيس *

الفصل الثاني والاربعون

في ترجيع ثلاثة لصوص الى التوبة

كان ثلثة لصوص يقتلون ويجردون وينهبون الناس . واذ عدموا يومًا ما ياكلونهُ دخلوا ديرًا من اديرة القدّيس فرنسيس . وطلبوا صدقةً . فقال لهم الرئيس بالسبّ

والشتم: لماذا انيتم ههنا يا ايها الذين لا يخافون الله ولا الناس . ودأبكم القتل والنهب . انكم لستم بني الله بل بنوا الشيطان والجحيم . وانا انعجب من أنّ الارض لاتنفتح وتبتلعكم اذهبوا يا اعدآء الله . قال هذا واغلق الباب في وجوههم . فانصرفوا حزينين من قول الرئيس . وبعد يومين جاء فرنسيس الى هذا الدير فاخبره الرئيس بكل ما جرى مع اللصوص . فصعب عليه ذلك جدًّا وقال له: اعلم أنّ الخطاة العصاة لا يتركون أفعالهم القبيحة الّا بالكلام الطيب وبالبشاشة لا بالزجر والشراسة . وقد قال المسيح في الانجيل:

لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى ،
وحيث انك خالفت الواجب آمرك الآن
أن تمضي الى الجبل ، وتأخذ معك شيئًا من
الخبز والخمر لهؤلاء اللصوص ، وفي وصولك
عندهم اجث على أقدامهم واطلب منهم
الغفران عمّا صنعتَ بهم ، وبعد ما يتناولونه
قل لهم عن لساني : إنّ فرنسيس يسألكم
أن تتركوا هذه الأعمال القبيحة ، وهو يعطيكم
كلّ ما تحتاجون اليهِ ، ولا تؤذوا احدًا ، وبعد
ذلك قل لهم أن يأتوا الى الدير ، فقام الرئيس
للوقت ، واخذ خبزًا وخمرًا ، وطلع على
الجبل طالبًا اللصوص ، فلمّا وجدهم فعل ما

امره بهِ فرنسيس ، وبينما هم ياكلون التفت واحد منهم وقال : حتى مَ نبقى نحن في هذه الحالة مزيدين ذنبًا على ذنبٍ يومًا فيومًا ، يا ترى اي عذاب يعذبنا الله في جهنَّم من جرى افعالنا السيئة . واذ وعظنا هذا الراهب اغتممنا ممَّا قال ، والآن جاء يطلب الغفران منَّا من اجل خطايانا الشنيعة وأفعالنا الذميمة ، ومع هذا فقد اتانا بخبزٍ وخمرٍ من عند رئيسهِ فرنسيس ، فاعتبروا يا خلاَّني باي رغبة وشوق يريد خلاصنا وانقاذ نفوسنا فقد تكلَّف بما يلزمنا من المأكل والمشرب واللباس ، وهو لا يقصد ولا يطلب منَّا سوى

ترك خطايانا والرجوع الى التوبة * وإنّي
تيقّنت أنّ هولاء هم عبيد الله ولهم الملكوت
من اجل أفعالهم الحميدة . كما أنّنا نحن لنا
النار والعذاب من جرى أعمالنا السيّئة .
فانا ارتاي أن نمضي الى فرنسيس لعلّه
يرجّعنا عن أعمالنا القبيحة . ويهدينا الى
طريق الخلاص فلمّا سمع رفقاه ما قال اجابا
قائلين : حبًّا وكرامةً . فقاموا وتوجّهوا الى
الدير . فلمّا وصلوا دخلوا الى فرنسيس .
وسقطوا على قدميه قائلين : ابانا انّا يئسنا
من رحمة الله تعالى لسبب أفعالنا الرديّة .
فانّها اكثر من نجوم السماء . وإن زعمت أنّه

يكن لنا وجود الرحمة عند الله فنحن مستعدّون أن نفعل مهما امرتنا بهِ • فقبلهم فرنسيس بكلّ بشاشة • وقال لهم : لاشكّ أنّ الله يرحمكم • حيث رجعتم اليه وتركتم جميع خطاياكم وعزمتم على التوبة • والذي ييأس من رحمة الله يخطي خطيئةً اعظم من سائر خطاياهُ • وجواب خطاياكم عليّ • انا اجاوب الله عنكم إن اقلعتم عن السوء وعزمتم على التوبة • فلمّا سمعوا هذا تقوّت قلوبهم وسكنت خواطرهم • وتابوا عن أفعالهم القبيحة ومعاصيهم • لا بل ترهّبوا على يد فرنسيس • وتركوا الدنيا واستمرّوا على

ممارسة الرياضات الى الموت ☼

وبعد ما مضى زمن يسير مات اثنان منهم . والآخر عاش مدّة طويلة اي نحو خمس عشرة سنة . وكان قوتهُ في الاسبوع ثلاث مرّات خبزًا وماء فقط . وكان كل يوم يجلد جسدهُ بالمقارع . ولا ينام الّا بعد نصف الليل . وبينما كان يصلّي ليلةً ما كعادتهِ تسلّط عليه النعاس . فلم يستطع ردّهُ ابدًا . فنام قليلًا . ورأى في حلمهِ ملاكًا اخذهُ وصعد بهِ جبلًا عاليًا تحتهُ حجارة محرقة حادّة كالسكّين والقاهُ من رأس الجبل الى الوادي . فوقع على تلك الحجارة . وبعد وقوعهِ ناداهُ الملاك

قائلاً : قم فقد بقي عليك سير طويل .
فقال : كيف تأمرني بالقيام . وقد تهشم
جسدي متجرحاً مترضضاً . فمد الملاك يده
فشفي وصار متعافياً من اوجاعه وجروحه
كافة . ثم مضى به الى ارض متسعة مرصوفة
بحجارة محرقة حادة كالشوك . وامره بالمشي
عليها حافياً فتمنع . فامره الملاك ان يمشي
كرهاً . ولما انتهى الى آخر تلك الارض رأى
ناراً ملتهبة جداً . فامره الملاك الدخول
اليها . وحينئذ قال الملاك للشياطين ان
يلقوه في النار ففعلوا ذلك . ثم اخرجه الملاك
وشفاه من احتراقه . ومشى معه حتى وصل

الى جسرٍ مخروط الشكل لا يمكن الوقوف
عليهِ وهو ممدودٌ على نهرٍ جارٍ بسرعةٍ ممتلي
افاعي وحيّات وتنانين تميت من مجرّد
النظر اليها. وامرهُ الملاك أَن يسير على
ذلك الجسر. فقال الراهب: لا استطيع. فقال
لهُ الملاك: اتبعني قدمًا بقدمٍ ولا تجزع. ففعل
الراهب هكذا. ولمّا توسّط الجسر غاب الملاك
من بين يديهِ. ومضى الى الجبل الذي
بقربهِ. ولمّا راى الراهب حالتهُ هذه انقطع
من شدّة الخوف لما راى ما في النهر.
واحتضن الجسر لئلّا يقع. وشرع يبكي
متضرّعًا الى الله ليخلّصهُ من تلك الشدّة.

فاستجاب لهُ الله، وصنع لهُ جناحين في كتفيهِ، فلم يصبر من شدّة خوفهِ، وطار قبل أن تقوى اجنحتهُ، فوقع على الجسر، وتوسّل وتضرّع الى الله تعالى، وعزم في نفسهِ على الصبر الى أن تطول اجنحتهُ، واستمرّ يبكي ويقول في نفسهِ: من ذا يخرجني من هذه الضيقة ويخلّصني من هذه الشدّة، انت يا يسوع مخلّصي ورجائي. وساعتئذٍ خرجت اجنحتهُ، ومن شدّة الفرح لم يصبر على كمالها، وطار كما صنع اوّلاً، وسقط على الجسر فصلّى ثالثةً وعزم أن ينتظر حتى تطول اجنحتهُ، فصبر الى أن طالت

واشتدّت . فصفّق بهما وارتفع طائرًا الى الجبل . وصعد هو والملاك الى باب مدينةٍ . والبوّاب ادخل الملاك . واغلق الباب في وجه الراهب وقال له : من انت وماذا تريد . قال : انا من رهبان مار فرنسيس . فقال له : اصبر لاساله هل انت حقًّا من رهبانه (لان فرنسيس كان قد مات في عهد ذلك الراهب) ومضى البوّاب . فمكث الراهب يتامّل في ابواب المدينة وأسوارها وعلوّ جدرانها . وهي في غاية الكمال تلمع كالبلور الصافي . وبينما كان متامّلاً في محاسنها اذ اتى مار فرنسيس ومعهُ برنردس تلميذهُ الاوّل

وكثير من اهل تلك المدينة . ولما وصلوا امر فرنسيس بفتح الباب وإدخال الراهب . فادخلهُ البوّاب وجاءهُ فرنسيس . واراهُ المدينة وما فيها من العجائب التي لم يمكن أن تخطر على قلب بشر . وإنّ الراهب من فرحهِ نسي ما كان قد قاساهُ . وكان على مار فرنسيس ثوب ثمين . وجروح يديهِ ورجليهِ وجنبهِ تلمع كالشمس . وقال لهُ : لا تتعجب انك ستعود الى الدنيا . ولكن تمكث فيها مدّةً قليلة . لكون الله منحك عمراً قليلاً تستفيض نفسك وتزيّنها بالفضائل التي تجعلك اهلاً لتدخل هذه المدينة . وفي آخر هذه المدّة انا

آتي وآخذك معي . لتتسرّ في هذا المجد الى الابد * ثمّ استيقظ من نومهِ . وكان حين صلوة الصبح . وبعدما قدّس اخبر الرئيس وساكني الدير بذلك كلّهِ . ومرض في ذلك اليوم . وتأهّب للموت . واعترف وتناول الأَسرار المقدّسة . ومات في اليوم السابع . وحضر فرنسيس . وذهب بروحهِ الى الملكوت * وانّما اراه الله هذه الرؤيا العجيبة لنفهم أَنّ الخطاة المصرّين على خطاياهم الى الموت بئس الحال حالهم . وأَنّ التائبين يعفو عنهم ويدخلهم الملكوت . وهذه نتائج تواضع فرنسيس *

وكان كلّما نصحه واحد يعزّهُ ويكرمه. كما جرى مرّةً مع احد الفلاّحين. وذلك أنّ فرنسيس كان مسافرًا فمرّ بفلاّح يحرث الارض. فلمّا رآهُ ترك الفلاحة واسرع وراءهُ حتّى دنا منه. وكان قد سمع الناس تحكي عنهُ أشياء كثيرة واموراً عظيمة. فقال لهُ: يا فرنسيس قد اخبر الناس جميعًا أنّك رجل صالح بارّ سالك في طريق الحقّ. اياك ثمّ اياك أن يكون باطنك بخلاف ظاهرك. فقال فرنسيس: صدقتَ. ونزل من على الحمار وخرّ على قدمي الفلاّح وقبّلهما وشكرهُ ومع هذا التواضع ففي الصلوة العقليّة

كان يتكلم مع الله ويهدي لخدمته وافعاله. كقول داود النبي (مزمور ١٥) الرب امامي كل حين لكي لا ازول * وعند تاملهِ في عجائب الله التي فعلها من اجل الانسان نظير تكوين العالم ومجيء المسيح وموتهِ كان يُنْطَق بالروح اذيرى جود الباري تعالى ومحبتهُ لهُ. ومن كثرة الفرح والسرور الروحي كان ينسى الدنيا وما فيها * ولهذا اذ كان يومًا مارًا وهو راكب حمارًا تقدم اليهِ اناس كثيرون تباركوا منهُ وقبلوا يديهِ. ولما قطعوا القرية سأل رفيقهُ: كم بقي بيننا وبين القرية. لانهُ ما درى ما فعل بهِ الناس من تقبيل

بديه واترابه لما مرّ عليهم * ولكي يصلّي بحرارة كان ينقطع الى البراري . مبتعدًا عن الناس والاديرة * وإنّ الله تعالى منحه كلّ نوع من الكرامات . وجاد عليه بفعل العجائب . لانّه كان ملازمًا الصلوة بايمان وعبادة ونشاط يفوق الحدّ *

الفصل الثالث والاربعون

في الرويا التي انعم بها الله على فرنسيس

إنّ فرنسيس سافر يومًا الى احد الاديرة . واخذ معهُ واحدًا من رهبانه . وفي وصولهما استراحا قليلاً . فمضى فرنسيس الى الفلاية لينام ثمّ يقوم يصلّي قبل الرهبان . فالتفت

رفقته الى الرهبان وقال لهم: إنّ الناس يزعمون أنّ فرنسيس قدّيس، وها هو كواحدٍ منّا يأكل ويشرب وينام، وعمد أن يختبرهُ أيقوم في الليل للصلوة ام لا، فجلس تلك الليلة ساهرًا ليتحقّق الامر، وعند انتصاف الليل راى فرنسيس نهض من فراشهِ وخرج من محلّهِ، وانطلق الى زوايا الدير والراهب يتبعهُ، فشرع فرنسيس يصلّي بكلّ حرارة قلبهِ، وطلب من مريم العذرآء أن تريهُ ابنها مثلما ولدتهُ في بيت لحم، وللوقت شاهد الراهب أنّ مريم العذرآء ظهرت لفرنسيس وابنها في حضنها،

وهي تضي كالشمس وناولته الطفل ٠ فشكرها واخذ الطفل بيديهِ ٠ وقبّلهُ اذ هو موعبٌ فرحًا وانبساطا ٠ ولم يزل في يديهِ حتى الصباح ولمّا طلع الفجر اعطى الطفل لامّهِ ٠ فغابت عنه ❊ فلمّا راى الراهب هذا الامر تاكد عندهُ كلّ ما قيل عن فرنسيس ٠ فجثا على قدميهِ وطلب منهُ الغفران ٠ واخبرهُ بكلّ ما راى في تلك الليلة ❊ ومرّةً اخرى اذ كان يصلّي ظهر لهُ ملاك وبشّرهُ بالمواهب التي منحها الله تعالى لرهبنتهِ الاولى أنّ الله وعد بإنقاذ اهل رهبنتهِ من تجاريب الشيطان الموقعة في

الخطايا المميتة . والثانية أنّ كلّ مَن يحفظ
قانونها الى الموت ينال اجر الرسل . كما
قال لهم : انتم الذين تركتم كل شي وتبعتموني
اذا جاء ابن الانسان على كرسي مجده
تجلسون انتم وتدينون أسباط اسرائيل
الاثني عشر . والثالثة أنّ الله تعالى يفيض
نعمتهُ على كلّ مَن يحبّ رهبنته . والرابعة
أنّهُ يعذّب مَن يتركها ويرفضها . والخامسة
أنّ قانون رهبنته يبقى الى انقضاء العالم .
وأنّ الله تعالى يسدّ كلّ حوائجهم الضرورية .
قال هذا وغاب عنهُ * وافضل ما كان
يفعل في الصلوة التأمّل في ما فعل المسيح

من اجلنا * وامر تلاميذه أن يشتغلوا بهذا التامّل . وكان يجتهد أن يلقي في قلوب الناس حبّ التامّل في أعمال المسيح . لانّه تاكّد جيّدًا عنده أن كلّ من يتامّل فيها فلابدّ أن يحبّه ويمنع ذاته ممّا يخالف رضاه *

الفصل الرابع والاربعون

في المذود الذي صنعهُ ورسمهُ بين المسيحيّين

انطلق فرنسيس مرّةً في عيد الميلاد الى احدى المدن ليحرّك قلوب اهلها الى محبّة هذا الطفل الذي اتى الى العالم من اجل خلاصهم . فجمع اهل المدينة والرهبان

من الاديرة القريبة . وامرهم أن يحضروا اتبنًا وأعشابًا . وجمعها في اصطبل كان في منزل عتيق . واحضروا ثورًا وحمارًا وثلاث صور . الاولى صورة المسيح طفلاً . والثانية صورة مريم العذراء والثالثة صورة ماريوسف * فسمع اهل القرى واتوا الى المدينة ليحضروا العيد وهم يضربون بالدفوف والمزاهر والأبواق وغير ذلك من آلات الطرب . وعيّدوا العيد بفرح عظيم وبهج وسيم . ووعظ فرنسيس وعظًا لطيفًا في قدّاس نصف الليل . وكان كلّ مرّة يلزم ذكر اسم يسوع يقول عوضًا عنهُ الطفل المولود في بيت لحم * ولمّا انقضى العيد

حفظوا الأعشاب والحشائش التي كانت في الاصطبل. وكلّ حيوان اكل منها شُفي من مرضهِ. دليلاً على أنّ الله رضي على فعل فرنسيس هذا ※

وقال فرنسيس: لو كنتُ سلطاناً لامرتُ كلّ رعيّتي في عيد الميلاد أن يقدّموا لكلّ دوابهم تبناً وشعيراً اكثر من بقيّة الأيام لكي تشبع وتتنعّم ذلك اليوم. وأن يبذروا قمحاً في الطرق لتاكل العصافير والطيور وتسرّ في ذلك اليوم يوم الفرح والابتهاج لانّ ملك الملوك واله السموات مالك الاشياء قد ظهر بيننا كواحدٍ منّا ونجّى بني

آدم من اسر الخطيّة ۞ ولعمري انّهُ متى ما
كان صاحب البيت مسرورًا فلا بدّ من أن
تُسرّ العائلة كلّها وتفرح ۰ وبيوم ميلاد يسوع
المسيح صار الخلاص للانسان ۰ فلا بدّ من
أن يفرح اهل بيته ۞

وكان يتأمّل في كلّ أسرار حيوتهِ ۰ ولكن
بالاكثر كان يتأمّل في موتهِ ۰ وفي ما كابدهُ
من الشدائد والبلايا والأوجاع من تكليلهِ
بالشوك وجلدهِ بالسياط والتفل والاستهزآء
والاحتقار والهوان وشربهِ الخلّ والمرارة
وسفك دمهِ من جرى خطايانا ۰ وكان في
هذه التأمّلات لا يقدر أن يمسك ذاته عن

البكآء ، وكان يتلذذ بكلّ ما عرض له من الأوجاع والشدائد والأحزان ❊

الفصل الخامس والاربعون

في تأمله في آلام المسيح وموته

اذ كان يوماً متأملاً في آلام المسيح واوجاعه وشدائده شرع يصرخ بصوت الحزن والنحيب كانه حاضر ومشاهد موته ، وفي أثنآء ذلك مرّ رجل من دائمة الناس ، وكان من محبّيه ، فدخل عليه وسأله قائلاً : ما بالك في هذا البكآء والنحيب ، فقال : إنّ سبب ذلك هو الآلام والأوجاع التي انزلها اليهود بيسوع المسيح ، والذي يزيد حزني هو خيانة الانسا

ومعاملته للمسيح كانهُ ما كابد هذه الأوجاع والمشقات . فلما سمع هذا الجواب عوضًا أن يسليه اخذ يبكي معهُ ويتنهد من اجل الالام المسيح وموتهِ ✲

وكان يومًا مريضًا . فقال لهُ احد رهبانهِ: يا ابانا اتريد أن نقرأ أمامك في كتابٍ لكي تتسلى وينشرح خاطرك . فقال فرنسيس: إن عشتُ حتى انقضاء العالم يكفيني التفكر في آلام المسيح وموتهِ . فان روحي تسكن بهِ وتفرح . وليس لي حاجة بغيرهِ ✲ وكان دائمًا يقول للتلاميذهِ: ان تاملتم في صليب المسيح وما عرض لهُ من اجلكم

ليخلّصكم من جهنّم ويردّكم الى الملكوت
تقوى قلوبكم وتتشدّد في الصبر واحتمال
البلايا والمصائب . والناس ايضًا يتعلّمون
منكم الصبر على شدائدهم وبلاياهم .
وتحلّ الرحمة والرأفة من أوجاع المسيح في
قلوبهم * وكان يومًا مسافرًا . فصادف
فلاحًا قد ربط حَمَلين بعضًا ببعض . وحملهما
على كتفيه . فلمّا دنا منه فرنسيس
وسمع صياحهما تحنّن عليهما . وسأل
الفلّاح : لماذا ربطتهما . فقال : لئلّا يهربا
حتّى أصل المدينة . وابيعهما واشتري
بثمنهما لوازم بيتي . فسأله : ماذا يصنع

بهما مَن يشتريهما ، قال : يذبحهما
ويطبخهما وياكلهما ، فحزن فرنسيس عند
ذلك وقال لهُ : اترضى بكسائي عوض
الخروفين ، قال : نعم ، واخذ الكساء ودفعهما
لهُ وهو لا يدري كيف يربيهما ، فاستشار
رفيقهُ بذلك ، فقال لهُ : ردّهما الى صاحبهما
فردّهما ، ورجع الفلاح الى بيتهِ بالكساء
والخروفين * وولدت يوماً نعجة خروفاً ،
وحين الولادة كان خنزير واقفاً بالقرب
منها ، فطعن الخروف بنابهِ ، فمات واكلهُ ،
فاذ رأى فرنسيس ذلك حزن جدًّا وقال :
انّ موت هذا الخروف يذكرني موت

سيّدي يسوع المسيح وما الحقوا به من
الاهانات وهو بريّ من الذنب والخطيّة.
ولكثرة غضبهِ على الخنزير لعنهُ. فمرض
حالاً. وفي اليوم الثالث مات. وخرجت
منه رائحة منتنة. حتّى انّ الكلاب والذئاب
وبقية الوحوش والطيور فرّوا هاربين منهُ.
وهكذا اظهر الله تعالى عاقبة الظالمين
وكيفيّة عذابهم ۞ ولكثرة التامّل في آلام
المسيح وموته صار لهُ غيرة كليّة على
خلاص بني آدم. اذ عرف ثمنهم وما فعلهُ
المسيح واحتملهُ من اجلهم لينجّيهم من
الجحيم ويورثهم الملكوت ۞ وكان طول

النهار يكرز ويتكلّم مع الناس في هذا
المعنى ويبيّن لهم شرّ الخطيّة . وينذرهم
أنّ الذين يرتكبونها لا يدخلون ملكوت
السماء بل يصلَوْن نار جهنّم . وأنّ الذي
يصبر على الشدائد والهموم والأحزان
العارضة له من الله ويعمل الرياضات
ويقمع جسدهُ ويحفظ الوصايا الالهيّة يرث
الملكوت التي لا تزول افراحها ولا تفنى ❊
وبهذه الأقوال ونظيرها كان ينصحهم أن
يتركوا المعاصي والرذائل ويحبّوا الطهارة
والفضائل ❊ وكان مدمنًا على الصلوة .
ويطلب من الله أنّ يغفر خطايا الناس .

ويحرّك قلوبهم الى طاعته وأن يهجروا المعاصي ويفرّوا منها · ويلقي في قلوبهم الخوف من جهنّم وحبّ الملكوت وأفراحها · وهذا غيرةً على خلاص نفوسهم ❊

الفصل السادس والاربعون

في اليوبليون الذي منحهُ المسيح لكلّ الناس بواسطة مار فرنسيس

كان فرنسيس مرّةً يصلّي في حجرتهِ ويسأل من المسيح أن يغفر الخطايا الممحوّة بدمهِ الكريم · فظهر لهُ ملاك من الملئكة وقال لهُ: يا فرنسيس اذهب الى الكنيسة · يدعوك

هناك المسيح ووالدته وفوجٌ من الملئكة. فقام حالاً ومضى. فرأى المسيح جالسًا على كرسيٍ. وعن يمينهِ مريم العذراء وملئكة كثيرون. فاذ وقف القدّيس امامهم خرّ على أقدامهم ساجدًا. فقال لهُ المسيح: يا فرنسيس قد استُجيبتُ صلواتك لانك صرتَ مدمنًا ليلاً ونهارًا على تدبير خلاص الناس. فاسالني كلّ ما بدا لك فاعطيك. فلمّا سمع فرنسيس هذه الكلمات تقوّى قلبهُ واشتدّ عزمهُ. وقال للمسيح: يا سيّدي انا عبد خاطىء لا استحقّ الخطاب معك. لكن إن جدتَ على عبدك الحقير اسالك

الغفران لجميع الخطايا والعقوبات الموجبة على كل من يعترف بها ويدخل هذه الكنيسة مصلّيًا فيها . ثمّ التفت الى مريم العذراء قائلاً : اسألكِ ايّتها العذراء أن تتوسّلي من اجلي ومن اجل المسيحيّين كافةً . فتوسّلت . فقال المسيح لفرنسيس : انّ الذي تسألني هو شيء عظيم ولكنّي اهبه لك من اجل حرصك وغيرتك على خلاص النفوس . فاذهب الى وكيلي لانّي منحته قوةً وسلطانًا للحلّ والربط على الارض . ثمّ غاب المسيح ووالدته والملائكة بالسرعة * وسمع البعض من الرهبان تلك الاصوات .

ولم يتجاسروا على الدخول في تلك الكنيسة من شدّة النور الساطع منها . وللوقت قام فرنسيس . واصطحب احد رهبانهِ . وانطلق الى البابا . فلمّا صار بين يديهِ قال : المعروض على حضرتك الشريفة أنّي قد اصلحتُ كنيسةً بالقرب من مدينة اسّيسيا تسمّى كنيسة السيّدة . فارغب من قدسك أن تمنح الغفران لكلّ مَن يدخلها وذلك بغير صدقة . فابى البابا قائلًا : لم تجرِ العادة أن يُمنح الغفران بدون صدقة . فاخبرهُ بما راى . ثمّ قال : ان المسيح ارسلني اليك . واذ سمع قولهُ واطّلع على ما جرى لهُ اجابهُ : حبًّا

وكرمًا . ولكن الى كم سنةٍ . قال : انّي لستُ اطلب مدّةً معيّنةً لخلاص النفوس وحينئذٍ اعطى فرنسيس كلّ ما طلب . وحدّد ذلك في يوم معلوم من السنة ❊

وليلةً ما بعد رجوعهِ من عند البابا اذ كان يصلّي ظهر لهُ الشيطان بصورة ملاكٍ . وقال لهُ : لماذا تطلب الموت قبل اوانهِ . اما علمتَ أنّ الليل هو للنوم لراحة الجسد . فانت شابّ . لماذا تضعّف جسدك . اسلك الطريق الاوسط في الصلوة والعبادة . فلمّا سمع فرنسيس ذلك علم أنّهُ من حيلة الشيطان ومكرهِ . فقام خلع ثوبهُ . والقى

نفسه على الشوك . وقال لجسده : العلّ التذكر في خيرك هو احسن لك من هذا الشوك . وفي الحال سطع عليه نورٌ ورأى الشوك امتلأ وردًا وكان الزمان شهر كانون الثاني . وظهر له ملاك وقال لهُ : اذهب الى الكنيسة . لانّ المسيح ينتظرك . فقام ولبس ثوبهُ وذهب . فوجد المسيح ومريم امّهُ وجماعةً من الملئكة كالسابق . وجلس بين قدمي يسوع . وقال : يا سيّدي انعمتَ عليّ بما طلبتُ منك . ومنحت الغفران لجميع الداخلين الى هذه الكنيسة في يوم محدود . فاسالك أن تعرّفني هذا اليوم . فقال : هو اوّل

آب من صلاة المساء العصريّة الى ثاني يوم
عند غروب الشمس . فقال فرنسيس :
كيف يُعرَف ذلك . فقال المسيح : انّي ابيّنه
في حينهِ . ولمّا اتى فرنسيس الى الكنيسة كان
قد اخذ معهُ اثنتي عشرة وردة من الشوك .
فقال لهُ يسوع : خذ ستاً من هذا الورد .
وانطلق مع نفرٍ من الرهبان الذين رأوا اهلّ
الرؤيا الى البابا وكيلي واخبروهُ بما رأيتم بعينيْ
عندهُ ما قلتُ . ثمّ غاب يسوع ومن معهُ
جميعًا . فخرجوا من الكنيسة وتوجّهوا نحو البابا
وثبّت البابا ما حكوهُ . وقال : اني حقّقتُ
مراد المسيح ممّا طلبتَ . وانا وكيله الحقير ولو

لم استحق هذهِ الدرجة منحتُ الغفران من قبلهِ لكلّ من يدخل كنيسة السيّدة في اوّل آب ❊ وحين رجوعهم اعطاهم البابا رسالات الى اساقفة اقليم اسيسيا وامرهم بالحضور الى كنيسة السيّدة ليطّلعوا على الغفران . وسلّم فرنسيس الرسالات لهم . واحضر لوازم العيد . ولمّا صار اليوم المعيّن للعيد اجتمعت الاساقفة وشاع الخبر . واجتمع كثيرون من المدن المجاورة الى الكنيسة . وطلب الاساقفة أن يخبر فرنسيس الناس عن سبب حضورهم . فصعد فرنسيس المنبر . وخطب الناس

عن الغفران ونفعه . ومن جملة ما قاله : أن الله تعالى منح الغفران لكل من يأتي الى هذه الكنيسة في اليوم الاول من آب من العصر الى غروب الشمس ثاني يوم وذلك الى انقضآء العالم . واذ سمع ذلك الاساقفة ابوا ولم يرضوا . ولهذا لما عمد مطران اسيسيا أن يثبت الغفران بامر البابا ارتج عليه لانه نوى أن يقول عشر سنين ولم يتمالك الى أن لفظ انقضآء العالم . وعرض ذلك الامر لسائر الاساقفة ايضاً لما عزموا مثل الاسقف المذكور أن يثبتوا الغفران فقالوا : الى انقضآء العالم * ومن ذلك اليوم الى يومنا هذا يجتمع

اناس كثيرون من جميع البلاد الى كنيسة
السيدة في اليوم المعيّن لهُ . والله قد ايد هذا
الغفران بعجائب كثيرة ☼

وفي السنة الثانية بعد تقديس هذه
الكنيسة اجتمع اناس كثيرون لكي ياخذوا
الغفران . واذ كانوا ساهرين منعكفين على
الصلوة في الكنيسة حدث بسبب صياح .
فانتبه بعض من الرهبان . واتوا الى الكنيسة
ليشاهدوا ما الامر . فوجدوا ابا فرنسيس الذبيح
مشغولاً بالصلوة . فسالوهُ ما الامر فقال . اذا
شاهدت ملكة السماء مريم البتول نزلت
من السماء ومعها جمهور من الملائكة وابنها في

حضنها يضيء كالشمس . وباركت على كلّ من في الكنيسة . وحمامة بيضاء كالثلج حامت حول الكنيسة خمس مرّات . امّا الناس فرأوا هذه الحمامة . فصرخوا . ووقع القلق بينهم . واما بقية الرؤيا فما شاهدوها *

وفي سنةٍ اخرى قصد كاهن من أشراف البلدة أن يحجّ الى هذه الكنيسة لنوال الغفران . فإذ تجهّز بكلّ ما يلزم للسفر مرض واشرف على الموت . فاستدعى احد أصحابه وقال له : انّي قصدتُ أن احجّ الى كنيسة السيّدة لنوال الغفران . والآن قد حضرت وفاتي . فاسألك أن تحجّ انت

عوضًا عنّي وانا اعطيك كلّ ما تحتاج اليهِ من
لوازم السفر. فقال صديقهُ: حبًّا وكرامة.
ومات الكاهن. فلمّا حان وقت السفر عزم
الرجل أن يؤخّر الحجّ الى السنة الآتية. فظهر
لهُ الكاهن في الرؤيا، ونظر اليهِ بعين الغضب
قائلاً لهُ: قم اليوم وسافر مع مَن بقي من
الحُجّاج. فانتبه من نومهِ خائفًا، وامتثل
لأمرهِ واخذ في السفر. واليوم الذي اكتسب
فيهِ الغفران راى الكاهن في حلمهِ بوجهٍ
متبسّم وعليهِ امارات البشاشة والرضى
ليس كالاوّل. فشكرهُ قائلاً: بارك الله فيك
انّي منذ اخذتَ الغفران خرجتُ من

المطهر ودخلتُ الملكوت ❊

فهذا هو الغفران الذي منحهُ السيّد المسيح لكلّ مَن يدخل الكنيسة المذكورة . ومنحهُ البابا ايضًا لكلّ من يدخل كنائس رهبان مار فرنسيس في اوّل آب من عصره الى غروب الشمس في ثاني يوم بعدما اعترف وتناول القربان المقدّس ❊

الفصل السابع والاربعون

في تركهِ الرياسة وعملهِ قانونًا آخر

انّ القدّيس فرنسيس عزم أن يترك الرياسة لانّهُ ملّ من تدبير امور الرهبنة لشدّة الأمراض العارضة لهُ وازدياد عدد الرهبان

ويخبر عن الجهلاين في الاديرة ليرى حوائجهم ·
فجمع روساء الرهبنة · واخبرهم بقصده هذا ·
واختار بطرس كتانيوس الثاني من تلاميذهِ
رئيسًا لتدبير الرهبان من تحت يدهِ ·
والرهبان لم يختاروا رئيسًا سوى فرنسيس
ما دام حيًّا ۞ فهذا الرئيس مات في السنة
الثانية من رياستهِ · وظهرت كرامات
كثيرة عند قبرهِ · واجتمع اناس كثيرون من
بلاد بعيدة وقريبة · واعطوا أشياء كثيرة
للرهبان ۞ فاذ سمع فرنسيس بموت بطرس
مضى الى كنيسة السيدة · فراى أن
الصدقات تفضل عن الرهبان · فخاف في

نفسه على القانون أن يرتضي . فمضى الى قبر بطرس . وقال له : مثلما اطعتني في حياتك هكذا اريد أن تطيعني في مماتك . ولهذا آمرك باسم الطاعة المقدَّسة واقسم عليك بها أن لا تعود تصنع عجائب لئلا يحدث ضرر للقانون . فصار ما طلب ولم يعُد يظهر شيئًا * ثمّ اختار فرنسيس الَّتر ايليا رئيسًا مكان بطرس باتّفاق الرؤساء والرهبان . وكان هذا المًا فاضلًا متميزًا عند الجميع وسايدًا القانون . ففتح ولم يُعلَم أعدًا ام بلا عدد * وطلع فرنسيس الى الجبل متباعدًا عن الناس . وصام اربعين يومًا .

وتوسّل الى الله أن يظهر ارادته في تاليف القانون الآخر او تثبيت الاوّل. فاجتمعت وقتئذٍ الرؤساء عند الرئيس ايليا وقالوا: سمعنا أنّ فرنسيس عزم أن يؤلّف قانونًا آخر اصعب من الاوّل. وسبب مجيئنا اليك أن تخبره بقصدنا اعني أنّنا لا نريد أن نلزم ذواتنا بحفظ قانون آخر. وان ألّف فلنفسه. فاتفقوا كلّهم على هذا. وذهبوا عنده في الجبل. فلمّا وصلوا اليه وشاهدهم سال ايليا الرئيس عنهم. فقال: انّهم رؤساء الرهبنة سمعوا أنّك قاصد أن تألّف قانونًا آخر فجاؤوا ليعلموك أنّهم ما يريدون أن يلزموا نفوسهم

بحفظه. فلمّا سمع فرنسيس هذا الكلام رفع طرفه الى السماء قائلاً: الهي اما قلتُ انّهم لا يسمعون لقولي. فجاء للوقت صوتٌ يقول: كلّ ما هو في القانون فهو منّي واريد أن يحفظ كلّ ما هو محرّر فيه بغير تفسير ولا تاويل. ومَن لم يرضَ فليتركه ويمضِ في حال سبيله. فالتفت فرنسيس الى الروساء وقال لهم: هل تريدون أن تسمعوا هذا الصوت ثانيةً. ولم يستطع احد منهم أن يجيبه بكلمة. وانصرفوا منكسي الرؤوس خوفًا وخجلاً * وبعد ما رجعوا اجاز فرنسيس القانون الثاني وابّده * ولمّا راى ذاته خاليًا من

الرياسة والاهتمام بامور الرهبنة زاد الاجتهاد في العبادة واقتناء الفضائل. واشتدت غيرتهُ على نفسهِ بحفظ القانون بالتمام لمّا راى بعضًا من رهبانهِ ارادوا أن ينقّضوهُ * وكان يقول لمَن كان مشتاقًا الى حفظ القانون: انّ قانوننا هو كتاب الحيوة لانّ من يتبعهُ فهو رجاء الخلاص ورهن الحيوة المؤبّدة وهداية الى الملكوت. وامرهم أن يتلوهُ معهم كلّهم. ولا يفارقوهُ ليلًا ونهارًا. بل يتاملّوا فيهِ الى الموت * وكذلك فعل احد الرهبان كان قد مضى الى بلاد المغرب لينذر بالانجيل. فاجتمع المسلمون

وحكموا عليهِ بالقتل ، ولمّا ساقوهُ الى مكان القتل اخرج القانون وركع على ركبتيهِ امام رفيقهِ ، وقال : انا اعترف لله وامامك بكلّ ما صدر منّي ممّا يخالف هذا القانون ، واسال الله العفو والغفران عنهما ، ثمّ ضربوا عنق كليهما ، وطارت ارواحهما الى الملكوت * لانّ الله تعالى اوحى الى فرنسيس بالهام الاهيّ أنّ رهبانهُ اذا نبتوا في حبّ القانون وحفظهِ يخرج منهم فوائد روحية للعالم ، وكثيرٌ منهم يرتدّون الى التوبة ويرثون الملكوت ، لانهُ كان غيوراً على انفس رهبانهِ ، لا بل على كلّ الناس ، ولهذا

في غالب الاوقات كان يلقي محبة القانون
في قلوب رهبانه ليحترسوا من مخالفته *
وخالف يوماً احد الرهبان شيئاً من القانون
فحزن فرنسيس جدًّا . ولما قدموه للشكاية .
استخلى واخذ يسلّي ذاته بالصلوة قائلاً :
انظر يا الهي وسيّدي انظر الى هذه الرهبنة
بعين الرحمة . انّي انا الحقير اسّستها على
المشورات الانجيليّة . و بعض من رهباني
قصدوا السلوك في طريق آخر . فسمع صوتاً
يقول : وما بالك يا فرنسيس حزيناً مكتئباً .
هل اخترتُك رئيساً على رهبانك لانّي
تركتُ تدبيرهم عليك . وَمن اعطاهم القوّة

التي جذبوا بها الناس غيري . فانا اخترتك رجلاً قليل العلم ليعلم الناس أنّ كلّ ما فيك من الصلاح فهو منّي . وان فارق الرهبنة احد فانا اقيم آخر مكانهُ . وان ثبت عليها ثلاث انفس فانّي ادبّرهم . فزال حزنهُ من هذا الكلام . وشكر الله ❋ ومن هذه الغيرة اجتهد في تحصيل الفضائل الخاصّة للرهبان كحبّ الفقر والرياضة القشفيّة في المآكل والمشرب والكسوة حتّى اصابهُ أمراض كثيرة لمنع ذاته عن أشياء كليّة ضروريّة لا بدّ منها . وانّما فعل ذلك ليقتدي بهِ الرهبان . وتقوى قلوبهم في السلوك بالقانون ❋

الفصل الثامن والاربعون

في اجتهاده في النمو بالفضائل

وافى فرنسيس ذات يوم الى بعض الكردينالات . فامره أن يبيت عنده . وعيّن له مكانًا في آخر البيت . وقال له : صلِّ كعادتك ولا تتعطّل . فقال فرنسيس : حبًّا وكرامة ☼ ولمّا انتصف الليل وكان هو يصلّي جاءت الشياطين وضربوه ضربًا عنيفًا . وهو كان ساكنًا . ولمّا اصبح اخبر رفيقه بما جرى له من الشياطين قائلاً : ان الله تعالى سلّطهم عليّ في هذه الليلة ليعذّبوني كما يسلّط الحاكم

المعذّبين على المذنبين ليعذّبوهم . فانا فحصتُ ذاتي فما وجدتُ لي ذنبًا سوى طاعتي للكردنال بتكليفه لي بالنوم . فكان قبولي ذلك سببًا لعذابي . لانهُ ربّما البعض من تلاميذي يتشكرون قائلين انهُ يوصينا بالعفّة والرياضة الكلّية وترك اللذّات العالميّة وهو ينام في بيوت الاكابر ويتنعّم بانواع الاكل والشرب * ثمّ انّهُ استاذن الكردنال بعد أن قصّ عليهِ الامر وذهب *

وكانت نفس فرنسيس مزيّنة بفضيلتي العفّة والطهارة . كما يشهد رفيقهُ لاون الراهب بالرؤيا التي شاهدها . وهي انّهُ

راى فرنسيس واقفاً بين الزنبق. وسمع
صوتاً يقول: مقام فرنسيس بين الابكار
والعذارى الذين ما تلوّثوا بدنس الشهوة
القبيحة ابداً بل بقيت قلوبهم طاهرةً
خاليةً من الدنس والفساد كتعرّي الزنبق
من السواد المنسوب الى البتوليّة وعلامتها.
كما تذكر الكتب المقدّسة عن مريم العذراء
أنّها مثل الزنبق لكمال طهارتها. واظهر
لنا الله ذلك بما فعلتهُ مع الراهب
ايجيديوس. وهو الثالث من تلاميذهِ. وذلك
أنّهُ في أيامهِ عرض لاحد رهبان عبد
الاحد الفاضل بعلم اللاهوت والوعظ أنّ

الشيطان جرّبه تجربةً شديدة، وهي الظنّ
أن مريم العذراء ازالت بكوريّتها بعدما ولدت
المسيح. ولم يقدر على دفع هذه التجربة،
فاتى الى ايجيديوس بالهام. فلمّا دخل اليه
قبل أن يكلّمه اخذ ايجيديوس قضيبًا
وضرب به الارض قائلاً: يا اخي الكاروز
هي عذراء قبل الولادة . فطلع حالاً من
الارض زنبقة بيضاء كالثلج. وضربها
ثانيةً قائلاً: يا اخي الكاروز هي عذراء في
الولادة. فنبت زنبقة اخرى، وضربها ثالثةً
قائلاً: يا اخي الكاروز هي عذراء بعد الولادة،
فخرجت الزنبقة الثالثة. فزالت عنه

التجربة بالكلّيّة ❊

ومع كلّ هذه الكرامات الصادرة من القدّيس فرنسيس كانت فيه فضيلة التواضع بكمالها حتى أنّه ما اراد أن يرتسم كاهنًا لتواضعه ، ويومًا اذ كان مفتكرًا في ذلك ظهر له ملاك في يده آنية من البلّور صافية بغاية الصفاوة ، وقال له: يا فرنسيس كلّ من يريد الارتقاء الى درجة الكهنوت يجب أن يكون نقيًّا صافيًا من كلّ كدرٍ مثل هذا البلّور . فاذ سمع هذا جزم على نفسه أن لا يصير كاهنًا ابدًا ، ورضي بدرجة الافيليّة ، لانّه احتقر ذاته

وازدرى بنفسه كأنّهُ غير مستحقّ أن يتصرّف بالأسرار المقدّسة . ولكثرة ازدياد فضائله دخلت حواسّهُ تحت ضبط عقله حتي قيل أنّهُ رجع الى البرّ الاصليّ الذي فيه خلق الله ابانا آدم في الفردوس الذي فقدناهُ بمخالفة الوصيّة . والحيوانات كانت تطيعهُ لانّهُ كان طائعًا لله ❋

الفصل التاسع والاربعون

في الاعجوبة العظيمة التي صنعها مار فرنسيس في مدينة غوبيو مع الذيب الهائل

ان الله منحهُ سلطانًا على جميع

الحيوانات ليطيعوهُ ويفعلوا ما يأمرهم بهِ ‧ ومن ذلك ما عرض لهُ اذ كان منطلقًا الى مدينة غوبيوليكرز فيها ‧ وذلك أَنَّ اهلها خبّروهُ أَنَّهُ قد تسلّط عليهم ذيبٌ هائلٌ يخطف اولادهم ويمزّق الرجال والنساء ❊ فذهب ‧ الأفرنسيس الى مرتع الذئب مع رفيقهِ ‧ ولمّا دنوا من محلّهِ خرج عليهم الذئب ‧ فاستقبلهُ فرنسيس ‧ ولمّا قرب منهُ الذئب خارت قوّتهُ وصار بين يديهِ كالخروف ‧ فقال لهُ : ايها الذئب امرتك أَن لا تضرّني انا ولا غيري ‧ فخرّ الذئب على قدميهِ منتظرًا منهُ الامر ‧ فقال لهُ : انت قتلتَ اناسًا

كثيرين من هذه المدينة . وهذه الانفس
تطلب الانتقام من الله . ولهذا استوجبت
الموت . ولكن لانّك تواضعت واعترفت
بذنبك فانا اسال الله الغفران من اجلك .
فوضع الذئب راسهُ على الارض وبذلك
كان يشير انّهُ يريد أن يذعن لذلك الشرط اي
أن لا يعود يلحق ضررًا باحد ثمّ قال لهُ فرنسيس
يجب أن تسالهم ان يغفروا ذنوبك . وانا
اوصيهم أن يدفعوا اليك كلّ ما تحتاجهُ من
الاكل بشرط أن تعدني أنّك لن تلحق ضررًا
باحد . فقام للوقت الذئب على رجليهِ .
ووضع يدهُ بيد فرنسيس مشيرًا الى قبولهِ

الشرط . فقال لهُ فرنسيس : اتبعني الى المدينة . ولا تخف . فتبعهُ كالكلب . واذ وصلا الى ظهر المدينة اجتمع اناس كثيرون ليعاينوا ماذا يصير بين الذئب وفرنسيس . فكرز عليهم كرزًا لطيفًا . وقال لهم : انّ الله تعالى قد سلّط عليكم هذا الذئب قصاصًا عن خطاياكم . وانّ هذا القصاص هو سهل بالنسبة الى قصاص نار جهنّم ونهش الذئاب الجهنميّة التي تنتظر قدومكم لتفترسكم . وامرهم أن يتوبوا عن خطاياهم لينجوا من العذابين الزمني والابدي . وقال لهم : انّ الذئب هو بين ايديكم . وقد اقرّلي بذنبهِ

ووعد أنّهُ لا يضرّكم ولا يؤذيكم ابدًا، ولكن اسالكم أَن تعطوهُ كلّ ما يحتاج اليهِ من الطعام. فاجابوهُ: حبًّا وكرامة. ثمّ التفت الى الذئب وقال لهُ: اطلب منهم الغفران. فجلس الذئب على قدمي فرنسيس واحنى راسهُ الى الارض مشيرًا أَنّهُ تائب ونادم. ثمّ نهض ووضع يدهُ بيد فرنسيس للشهادة عليهِ. فقال لهم فرنسيس: انا شهدتُ عليكم أَن لا تقطعوا عنهُ ما يحتاجهُ، وهو لا يضرّكم. فانصرفوا كلّهم فارحين※ وعاش الذئب في المدينة بين الكلاب. وبعد سنتين مات. فحزنوا عليهِ جدًّا وعملوا

لهُ قبرًا وقبروهُ في وسط ميدان المدينة · وهو موجود الى الآن ليتذكروا نعمة الله التي منحها لهم بشفاعة القدّيس فرنسيس *

الفصل الخمسون

في اطاعة طيور السمآء لفرنسيس

كان مرّةً مسافرًا فاجتاز بين أشجار عليها أنواع من الطيور يغرّدن بأصناف النغمات · فجلس فرنسيس مع رفيقهِ ليصلّيا ويرتّلا المزامير · فنزلت الطيور عليهما بألحانها واصواتها حتى لم يعُد احدهما يسمع صاحبهُ · فامرهنّ أن يسكتن فسكتن الى حين ختام الصلوة · وعند ذلك سمح لهنّ فرنسيس ·

فشرعن يغرّدن ويشدون كالاوّل . وخطبهنّ قائلاً : يا خلائق الله اشكروهُ لانّهُ خلقكم وانعم عليكم بالاجنحة لتطيروا بها الى كرة الهواء وتنجوا بها من أعدائكم . واعطاكم القوّة على ذلك بغير تعب . فلا تغفلوا عن ذكر خالقكم وتسبيحهِ . لانّهُ منحكم كلّ ما تحتاجون اليهِ * فجعلت الطيور يرفرفن باجنحتهنّ فقال لهنّ : صدقتنّ حبًّا وكرامةً . وبارك عليهنّ فطرن برسم الصليب الى اربعة أقطار المسكونة * وكان مرّةً مارًّا على ساحل نهرٍ والصيّادون يصيدون سمكًا وحيتانًا . فاعطوهُ حوتًا كبيرًا . فشكرهم . وبعد ذلك القاهُ في النهر فصار

الحوت يحاذيهِ ويتبعهُ على وجه الماء وهو يمشي على الساحل . ولم يرجع حتى بارك عليهِ وانصرف * ثمّ مضى مرّة اخرى الى كنيسة ليعظ النّاس وكان فيها عشّ السنونو . فلمّا ابتدا بالوعظ شرع السنونو بالتغريد حتّى شغل الناس عن استماع الوعظ . فالتفت اليهم فرنسيس . وامرهم بالسكوت الى نهاية الوعظ . فسكتوا الى أن فرغ من وعظهِ . فاذن لهم بالتغريد مرّة اخرى . فشاع هذا الخبر * وسمعهُ واحد فندم على عدم حضورهِ لاستماع الوعظ . فبينما هو ذات يوم جالس يقرا في محلّه اذا بالسنونو جاء ووقف في

الشبّاك ، وجعل يغرّد ، فخطر له أنّهُ من طائفة
الطيور التي كان فرنسيس قد امرها
بالسكوت ، فالتفت اليهِ قائلاً : اسالك باسم
مار فرنسيس أن تسكت وأن تنزل اليَّ
وتقف على يدي ، فسكت السنونو لوقته
ونزل ووقف على يدهِ ۞ وكم من اعجوبة
غريبة مثل هذه صنع الله بواسطة فرنسيس ۞

الفصل الحادي والخمسون

في طاعة العناصر لصوته

ليس الحيوانات والطيور اطاعته فقط
بل العناصر ايضاً ۞ وممّا حدث لهُ من ذلك

أنّ الله ابتلاهُ يومًا بالرمد ، واشتدّ عليه الوجع . واجتمعت الاطباء لينظروا التدبير في علاجهِ . فاجمعوا على أن يعالجوهُ بالكيّ . فالقوا الحديد في النار فحمي الى أن صار احمر كجمرة . فلمّا رآها فرنسيس خاف منها والتفت قائلًا : اسالك ايتها النار بالجليل الجبّار أن تضعفي قوّتكِ لاحتمل حرّكِ ورسم عليها اشارة الصليب . وقال للطبيب : افعل ما بدا لك . فكواهُ بها . فما احسّ فرنسيس بحرارة المكواة ولا توجّع منها * ومضى يومًا الى ساحل البحر . واجتمع عندهُ اناس كثيرون

فركب السفينة هاربًا منهم . فسارت به السفينة من دون مقاذيف . وتباعدت عن المينا . ولمّا راى ذلك الجمع الكثير وقف ووعظهم . ولمّا فرغ من وعظه . انصرف الجمع . فعادت السفينة بالتدريج حتّى وصلت المينا . فخرج منها * وتوجّه يومًا الى جبل ليصلّي خفيةً عن الناس . فاتى الشيطان . ودفعهُ من ورائه . فسقط على صخرة . فلانت كالشمع وانطبع فيها اثرهُ بسقوطه عليها . وهي باقيةٌ الى الآن تذكرةً لمن يراها *

الفصل الثاني والخمسون

في روح النبوّة الذي بهِ جاد الله عليهِ

انّ الله منّ على فرنسيس بروح النبوّ
حتّى صار يشعر بسرائر القلوب والأفكار
والامور المتصلة . ومن ذلك ما اتّفق لهُ
مع احد الرهبان كان بارعًا في جميع العلوم
الّا في علم الرهبان المخصوصيّ . لانه كان في
الظاهر فقط راهبًا . وانّ فرنسيس اقتضى له
حاجة مهمّة دنيويّة . فطلبها من احد
أصحابهِ في حبّ الله . فاجابهُ : لا اقضي
حاجتك او تعلمني هل انا من ابناء الملكوت .
فتعجّب فرنسيس من هذا السؤال الذي

لا يعلمهُ احد سوى الله. ولا ينبغي لانسان أَن يبحث عنهُ بل يجب عليهِ أن يدمن على الصلوة والعبادة والتقوى وتفويض الامر الى الله. غير أنّ فرنسيس اجابهُ وقال بالهام الاهيّ: حبًّا وكرامةً. ومضى ليصلّي فقيل لهُ بالوحي: انّ هذا الرجل هو من المختارين. فقام يبشرهُ أَقدس اهل الملكوت ففرح فرحًا عظيمًا. وشاع هذا الخبر حتى بلغ ذلك الراهب المذكور المتكبّر. فغضب على فرنسيس. وأتى اليهِ. ودخل وسلّم عليهِ وقال لهُ: أَأَنت انبأت صاحبي بانهُ من المنتخبين. فقال لهُ فرنسيس: نعم

فاجابهُ مستهزئاً بهِ: ومَن اطلعك على ذلك. فقال لهُ فرنسيس: هو الذي اطلعني على خطيّتك الفلانيّة التي فعلتها في الليلة الماضية ومن اجلها نويتَ أن تترك الرهبنة وترجع الى العالم. فكان الامر كما قال. فان الراهب مات خارج الرهبنة بلا توبة. وهلاكهُ صار دليلاً على خلاص الآخر *

ومضى فرنسيس الى مطران احدى المدن. وكان عند ذلك المطران قسيس غير ممدوح السيرة. لا بل سالك مسلكاً سيئاً فسلّط الله عليهِ مرضاً شديداً حتى لم يبقَ له

قوة أن يتحرك في الفراش. فلما سمع بمجي
فرنسيس قال لاحد خدامه أن يحمله اليه
في الحال. فلما صار بين يديه اعلمه بحاله
وشكا له شدة مرضه وطول مدته. واخبره أنه
تعالج كثيرًا فلم يبرأ من مرضه. وطلب اليه
أن يصلي من اجله ويرسم عليه اشارة
الصليب ليشفى. فقال له فرنسيس: اعلم
يا اخي أن الله قد سلط عليك هذا الداء من
سبب خطاياك لانك تبعت هوى نفسك
وتهاونت في خدمة ربك وطاعته التي
نذرتها له لما ارتسمت كاهنًا. وقد عاقبك
بهذا الكي تتوب عن أفعالك السيئة. وانا

ادعو لك باسمِ القدّوس ، واعلمك أنّك
ان داومت على أَفعالك السيّئة فالله تعالى
يبتليك بداءٍ اشدّ ممّا انت فيهِ ، ثمّ دعا لهُ ،
ورسمهُ باشارة الصليب ، ومن ساعتهِ برئَ
من مرضهِ ، ورجع وهو فرحان ، وبعد مدّة عاد
الى معاصيهِ الاولى ونسي نصيحة فرنسيس ،
فحلّ غضب الله تعالى عليهِ وهو في البيت
مع رفقتهِ ، واهوى السقف عليهم ، ومات
تحت الردم وحدهُ ، واما رفاقهُ فحفظهم الله
سالمين لكي يفهموا أنّ الله تعالى انتقم منهُ *

وممّا تكلّم بهِ فرنسيس بطريق النبوّة أنّهُ
اذ كان راجعًا يومًا من مصر نزل في بيت احد

أصحابهِ ، ومضى ليصلّي كعادتهِ . فلمّا فرغ من الصلوة قال لصاحب البيت : يا هذا قد آن اوان ذهابك الى امام الديّان . فاوصِ على بيتك وودّع اهلك وهيّئ نفسك للرحيل ، والله يجازيك كأفعالك الصالحة ، ولاسيّما ما صنعتَ مع رهباني حينما كنت تؤويهم في بيتك وتسعى في مصالحهم . فالآن اعلم أنّك تموت في مساء هذا اليوم . فصدّق الرجل جميع ما اخبرهُ بهِ فرنسيس ، واعترف عن يد كاهن كان رفيقًا لهُ ، وودّع اهلهُ واعطى كلّ ذي حقّ حقّهُ ، واستعدّ للموت وللوقوف بين يدي الله . ولمّا صار

المساء واجتمع اهله على المائدة ادركه المنون وفارق العالم . ومات بغير وجع ولا مرض . وذهب الى الآخرة السعيدة . وهناك يتمتّع مع القدّيسين حسبما كان القدّيس فرنسيس قد اخبرهُ ❊

الفصل الثالث والخمسون

في ما منحهُ الله من موهبة شفآء الامراض واقامة الموتى

انّ الله تعالى اظهر الكرامات والعجائب في عبده فرنسيس من اجل المنافع الروحيّة لخلاص الناس من شرّ الشيطان وتجاريبهِ . ولذلك ارسلهُ الى العالم كي يردّهم الى محبّتهِ

تعالى . التي هي غايتهم . ومن اجلها احتمل كثرة الشدائد . وايضًا ارسله للمنافع الجسدية حتّى صار حكيمًا ماهرًا بشفاءِ الأمراض . وقد شفى رجلًا مبليًّا بالآكلة عند ما قبّلهُ . وذلك اوّل ما ترك العالم . وطهّر الابرص من برصهِ حينما غسل جسدهُ بيدهِ . وغير ذلك . حتّى انّ الحبل المتزنّر هو بهِ اخذهُ احد أَصحاب رهبانهِ . وكان يشفي بهِ جميع الأَسقام * وكان اذا عجز عن الذهاب الى المرضى يبلّ الحبل بماءٍ ويرسل الماءَ اليهم ليشربوهُ . فينفعلهم هذا كانوا يُشفون *

وانّ الموت ايضًا كان خاضعًا لحكم

فرنسيس . وقد خلّص كثيرين منه فانهُ ذات يوم اذ وصل الى مدينة ما . اضافه احد أصحاب رهبانه . فقال لهُ : غداً آتيك بعد الكرز . فذهب الرجل وهيّأ كلّ اللوازم . وفي صباح اليوم الثاني مضى الرجل واهل بيتهِ لاستماع الوعظ . ومكثت الجارية في البيت لتهيّئ الاطعمة وتحفظ الطفل الصغير . فهيّأت كلّ شيء . ثم قالت في نفسها : انّهم جميعاً قد مضوا الى استماع الكرز . فانا ايضاً اذهب واسبقهم بالمجيء الى البيت من دون أن يشعروا بذلك . فذهبت لاستماع الكرز قليلاً . وعادت الى البيت

بسرعة . وطلبت الصبيّ فلم تجده . فحزنت
جدًّا . ومضت الى المطبخ لتنظر هل اعتدل
الطبيخ . فشاهدت الطفل ساقطًا فيهِ وهو
على النار يغلي . فانذهل عقلها .
وامسكت الصبي بيدها لتخرجهُ . فتقطّعت
جميع أعضائهِ . فجمعتهُ كلّهُ . ووضعتهُ في
صندوق . لئلّا يروهُ قبلما يذهب فرنسيس .
وهيّأت الطعام . فلمّا جاء سيّدها وسيّدتها
استخبراها عن الصبيّ . فقصّت عليهما
القضيّة مثلما جرت وهي باكية . فشرعت
امّهُ تولول وتضرب على صدرها . فسكّتها
زوجها قائلًا : اسكتي حتى نضيف فرنسيس

فلعله يردهُ لنا حيًّا بكرامتهِ عند الله تعالى
فسكتت الى أن أكمل فرنسيس صلاته ·
وفوّضت الامر الى الله · واضطجعت مع
زوجها الى أن تغدّى فرنسيس · فلمّا قام
من الغداء طلب من صاحب البيت
تفاحًا · فقال : ليس عندنا · ولكن سياتي ·
فقال فرنسيس : لا انتظرأن ياتوا بهِ · افتحا
هذا الصندوق لعلّكما تجدان فيهِ شيئًا ·
فلمّا سمعا هذا امتلأ قلبهما سرورًا وفرحًا ·
لانّهما كانا يعلمان أن ليس فيهِ سوى
أعضاء ولدهما · ففتحا الصندوق للوقت واذا
ابنهما حيٌّ في يدهِ تفاحتان فجاءا بالصبي الى

فرنسيس وهو يبلغ ناوله التفاحتين • وفرح أبوه فرحاً عظيماً • ومن شدة السرور لم يقدرا أن يتكلما • فاخبرهما فرنسيس أن الله تعالى اوحى اليه بموت الصبي اذ كان يصلي وأن الشيطان هو الذي فعل هذا • وحرضهما أن يشكرا الله ويحمداه • لانه بعث لهما ولدهما من الموت *

الفصل الرابع والخمسون

في الاصوام والتقشفات التي بها كان يعذب جسده

انه مع كل الكرامات والعجائب التي كان الله يصنعها على يد فرنسيس فكان

هو مغرماً بالرياضات والتقشفات التي بها كان يعذّب جسدهُ ، وذلك ليستعبدهُ ويخضعه تحت طاعتهِ ، كقول بولس الرسول عن نفسهِ : انّي اعذّب جسدي واخضعهُ تحت العبوديّة . لئلاّ اكون انا الذي بشرتُ آخرين اطلع مرذولاً * ولهذا قسّم اكثر الايّام وخصّصها للصيام . وممّا رُوي عنهُ من ذلك أنهُ كان مرّة صائماً ، فنوى أن يصوم اشدّ ما يمكن ، فخرج من الدير في طلب جزيرة خالية من الناس ، فاجتاز على احد أصحابهِ في ساحل البحيرة التي هي بجانب بروجيا ، فنزل عندهُ ، وحكاهُ ما كان في قلبهِ ،

واوصاه أن لا يحكي احدًا عن انطلاقه الى الجزيرة . واخذ منهُ رغيفين خبزًا . فانزلهُ صاحبهُ في السفينة . وانطلق بهِ الى جزيرة خالية خاوية . واوصاهُ فرنسيس أن لا يأتيهُ الّا في خميس الفصح . فقال لهُ : حبًّا وكرامةً . وودّعهُ * فصنع فرنسيس كوخًا من الأغصان . وجلس فيهِ منقطعًا على العبادة والنسك مدّة اربعين يومًا . حتّى اذا كان يوم الخميس العظيم المذكور اتاهُ صاحبهُ وناداهُ . فاقبل نحوهُ فرنسيس ومعهُ رغيف ونصف من الرغيفين اللذين كان قد اخذهما منهُ . وكان قد اكل منهما نصف رغيف فقط في

تلك المدة كلها . وخرجا كلاهما من الجزيرة وعبرا البحيرة . فاتى فرنسيس الى الدير * ومن يوم خروجه من تلك الجزيرة ابدى الله فيها آيات وجرائح كثيرة إكراماً لصيامه فيها . ومضى اليها اناس كثيرون وعمّروا فيها بيوتاً ومساكن واديرة لرهبانه تذكرةً لصومه *

الفصل الخامس والخمسون

في انطباع جروح المسيح في جسم فرنسيس بآية عجيبة

انّ المحبّ يمنح محبّه هدايا مكافاةً لمحبّته . وكذلك القدّيس فرنسيس اظهر المسيح له غاية محبّته بوسمه جروحه الخمسة في جسده

اي في يديهِ ورجليهِ وجنبهِ . وذلك مجازاةً لمحبتهِ لهُ . فظهر مصلوبًا كمعلمهِ المسيح .
والدليل على كمال محبة المسيح لهُ . هو أنَّ الواحد متى أعطى الآخر احسن ما عندهُ واحبَّ شيءٍ اليهِ . فمن يسمع بذلك يشهد أنَّ فلانًا يحبُّ فلانًا غاية ما يكون لانهُ أعطاهُ خير ما عندهُ . كما لو فرضنا أنَّ تاجرًا عندهُ جوهرة نفيسة ثمينة . فاذا سمعنا أنَّهُ وهبها لاحد أصحابهِ . تحقق أنهُ يحبهُ غاية المحبة . ونظير هذا التاجر هو المسيح الذي ليس عندهُ أفضل من جروحهِ التي جُرح بها على الصليب من اجل خلاصنا .

وخفظها في جسلاح . وهي تلمع في السمآء كالشمس . ويأتي بها في آخر الأزمان للدينونة . وكلّ من يراها من الصالحين يفرح فرحًا عظيمًا . لانّه بواسطتها نال فرح الملكوت . والأشرار عند مشاهدتهم اياها . يندمون ويحزنون ويتذكّرون أنّ المسيح جُرح من اجل خلاصهم . وفتح بذلك باب السمآء . وهم لمخالفتهم أوامرهُ حُرموا من دخولها . ونالوا النّار الابديّة التي قصد المسيح أن يخلّصهم منها بجروحه ۞ ولنعُد الى ما كنّا في صدده . قد ذكرنا في اوّل هذا الكتاب أنّ فرنسيس

وُلِدَ كالمسيح في إصطبلٍ . فاعلم أنّهُ حاكى المسيح وشابههُ في حياتهِ ايضًا . لانّ حياة المسيح هي متوقفة على اتّباع المشورات الانجيليّة . وفرنسيس تبعها مثلهُ * وكما انّ المسيح جُرح في يديهِ ورجليهِ وجنبهِ . فكذلك فرنسيس وُسمت فيهِ هذه الجروح في جبلٍ يسمّى ألْوِرْنِي من بلاد إطاليا . كان قبلًا قد عمّر فيهِ كنيسةً صغيرةً وقلالي ضيّقة ليسكن فيها بعضٌ من رهبانهِ . وكان اذا اراد أن يصوم يصعد اليها ليدمن على الصلوة والأعمال الروحيّة . لانّها كانت خالية من النّاس * فطلع كعادتهِ

الى هذا الجبل قبل موته بسنتين في عيد ميلاد العذرآء ليصوم صوم مار ميخائيل رئيس الملئكة . فاختار له محلًّا صغيرًا منفردًا . وفي الليلة الاولى توسّل الى الله ليظهر له ارادته كيف يتقدّم بهذا الصوم . وعند الصبح خرج من محلّهِ . واذا باجناس الطيور يغرّدن بأنواع الأنغام زهاء ساعةٍ . ثمّ طرن . فسمع فرنسيس صوتًا يقول له : لتكن نغمة هذه الطيور علامة لما يعطيك الله من النعمة في هذا المكان . ومن ذلك الحين تزايدت اللذّات الروحيّة في قلبهِ لكثرة حبّهِ للّه تعالى * وذات

يوم اتي اليه تلميذ لاوون فرآه مرتفعًا في العلو ۞ وفي بحر هذا الصوم كان يتوسّل الى المسيح أن يجعله شريكًا في اوجاعه عوضًا عن أنه لم يمت شهيدًا في حبّ الايمان لمّا سافر الى بلاد بعيدة بهذه النيّة ولم ينل اكليل الشهادة . فاوحى الله اليه بان قد استجاب دعاءه فغرح بهذا فرحًا عظيمًا . وفي عيد الصليب الواقع في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول اذ كان يصلّي قبل الفجر وهو مستغرق في التامل في الام المسيح ظهر له ملاك ذو ستّة اجنحة يضيء كالنور . فاذ دنا منه امعن النظر فيه .

فشاهد صورة المسيح المصلوب مرسومة فيه . ورأى جناحيه العاليين قد جاوزا رأسهُ والجناحين المتوسطين خرج الواحد منهما عن يمينه والآخر عن يساره والجناحين الاسفلين قد غطيا قدميه . فلمّا رأى فرنسيس تلك الحالة امتلأ قلبهُ فرحًا وسرورًا وابتهج بنظره الى صورة المسيح سيّده وتأمّل في الجروح التي كانت به وهو على الصليب . ومن شدّة تحديقه فيها هاجت في فؤاده محبّة الله . واشتعل قلبهُ توقّدًا بلهيبها . غير أنّهُ اشتدّ حزنًا عند ما رأى الملاك . وذكر آلام المسيح

واوجاعه التي احتملها صابرًا . وفي ذلك الحين شعر فرنسيس في نفسه بتوجع شديد عرض له في كفيه وجنبه وقدميه . وهذه الاوجاع ما كانت وهمية بل حقيقية لانه شوهد بعد تلك الرؤيا مجروح الكفين والجنب والقدمين . وانما حصل له ذلك من جرى الاشعة النارية الصادرة من يدي المصلوب وجنبه وقدميه . ولم تزل هذه الجروح راسخة فيه حتى انه كانت هيئة المسامير تظهر خارجة من الوجه الثاني . ولون المسامير كلون الحديد . وبصعوبة عظيمة كان يمشي على قدميه

متألمًا · والجرح الذي في جنبهِ كان مرتفعًا علوًا عن جسدهِ · وكان لونهُ ورديًّا · فاستمرّت هذه الجروح في جسدهِ الى موتهِ مدّة سنتين * والمسيح اظهر آلامهُ وجدّدها في عبدهِ فرنسيس تذكارًا لنا *

الفصل السادس والخمسون

في العجائب التي صنعها الله بواسطة جروح فرنسيس واثبتها الكرسي الرسولي

بعد ما قضى فرنسيس صومهُ نزل من الجبل وهو حامل في جسدهِ صورة المصلوب المرسومة بيد العناية الالهيّة · وقصد أن لا

يخبر احداً بهذا الامر ، ولكن حينما رآه رهبانهُ متغيّراً ظنّوا أنّهُ عرض لهُ عارض في الجبل ، فسالوهُ قائلين : يا ابانا قد علمت أنّ الله تعالى متى ما افاض على احد عبيده مواهب وعطايا فليست لهُ بالخصوص بل لكلّ الناس ، ولهذا نسالك باسم المسيح أن تخبرنا بما جرى لك ، فقال : حبّاً وكرامةً ، واخبرهم بكلّ ما حدث لهُ ، وشرط عليهم أن لا يقولوا لاحد ، وكان رفيقهُ لاون يخدمه بمداواة جروحه كلّ يوم ما عدا يوم الجمعة ، لكي يشعر بشدّة الألم والوجع تذكاراً للاوجاع التي احتملها المسيح في جروحه

يوم الجمعة * وهذه الجروح اظهرها الله تعالى واشاعها في العالم كله بعجائب كثيرة ليذكروهُ ويقدسوهُ باظهر التقديس الذي بهِ تظهر عجائبهُ في قديسيهِ لكي يتاملها الناس فتشتد في قلوبهم محبة المسيح المصاب بهذه الجروح لخلاصهم. فرسمت في جسد القديس لتصير تذكاراً في العالم *

فمن ذلك أنهُ في بلاد ريبطة وقع مرض في الغنم والمواشي وسائر البهائم حتى مات كل حيوان أُصيب بهِ. ولم يوجد دوآءٌ لها. فخطر في عقل واحد من اتقياء تلك البلاد بالهام الهي أن يذهب الى ديرمار فرنسيس.

ويأخذ ماءً ويرشّه على كلّ حيوان مبتلًى بهذا المرض ويغسله به فقام وتوجّه الى الدير وأخذ ماءً ورشّه على الحيوانات فشُفيت كلّها من المرض ✻ وكان في وادي جبل ألْوَرْنَي تهبّ عواصف ورياح شديدة ، وينزل بَرَد يضرّ الزرع والأشجار معًا حتى انهم لم يستطيعوا أن يحصدوا ويجمعوا شيئًا ✻ ومنذ وُسمت الجروح في جسم فرنسيس سكنت الرياح والعواصف والبَرَد . ولم يحصل بعد ذلك ضرر ابدًا ✻ ومن ذلك أنّ امرأةً حان طلقها فتعسّرت ولادتها ، وعجزت الاطبّاء عن معالجتها . فاتّفق أنّ

حمار رمار فرنسيس اخذوهُ لشرب الماء بقرب بيت تلك المراة. فلمّا علموا ذلك خرج واحد وحلّ رسن الحمار. واتى بهِ الى البيت. ومنطقوا بهِ المراة. فولدت حالاً باكثر سهولة * ولئلّا يحدث شكٌّ في هذه المواهب التي بها خصّ الله فرنسيس وصحّة وسم الجروح به ثبّتها الكرسي الرسولي. واوصى أن لا ينكرها احد من المسيحيّين. فانّ البابا غريغوريوس شاهد هذه الجروح عياناً في قيد حياة فرنسيس. ولانّهُ ما شاهد جرح جنبهِ شكّ هل يوجد هذا الجرح. فعلم فرنسيس ضمير البابا. فظهر لهُ بعد موتهِ

في احدى الليالي . ونصحهُ وعنّفه لقلّة تصديقه لجرح جنبه . وامرهُ باحضار اناء فلمّا أُحضر امسكه فرنسيس تحت الجرح . فامتلأ الاناء دمًا . فتأكّد عند البابا من هذه الرؤيا جروح فرنسيس . ولهذا حرّر في رسائله وامر أن يصلّوا لها ويطلبوا شفاعتها كباقي القدّيسين قائلًا: ان الكرسيّ الرسوليّ قد ثبّت الجروح الموجودة في جسم فرنسيس الذي اظهر الباري تعالى على يديه كرامات وعجائب * والبابا غريغوريوس عزّر بعضًا من الكوارزة المنكرين جروح فرنسيس قال في وعظه تهكّمًا: قد انجرح

فرنسيس في يديهِ مثل انجراحي انا في يديَّ . وفي الحال احسَّ فيهما بوجع شديدٍ . فخلع لبس يديهِ . واذا باطنهما وظهرهما احمر كالجمر . ولم يستطِع الصبر من شدَّة الوجع . ثمَّ استرجع قولهُ . فبطلت الآلام وعادت يداهُ كما كانتا اوّلاً * والبابا اسكندر الرابع اوصى الرهبان أن لا يتركوا الدير المعمَّر في جبل الأُوَرْنِي تذكارًا لهذه الجروح * والبابا بندكتس الحادي عشر امر جميع رهبان مار فرنسيس أن يصلّوا من اجلهِ صلوةً خصوصيَّة في اليوم الذي فيهِ وُسمت الجروح في جسدهِ اكرامًا لها *

الفصل السابع والخمسون

في الأمراض والاوجاع التي بها كان الله يعزي عبله فرنسيس

انّنا لكي نرفع الشكّ والارتياب من عقول الناس في عجائب وكرامات وجروح فرنسيس اوردنا قبلاً الاوامر الرسولية في إثباتها . هذا واعلم أنّهُ منذ وُسم فرنسيس بهذه الآثار التهب قلبهُ كثيراً بمحبة الله . وزادت غيرته على انقاذ النفوس من الخطايا وعذابات جهنّم * ومع كونهِ مشتغلاً بخلاص النفوس من اوّل تركهِ العالم ودخولهِ في الرهبنة فبعد أن رُسمت الجروح فيهِ اشتدّت غيرتهُ وحرصهُ على خلاص بني

آدم . لكونهِ ذاق اوجاع المسيح والالامَ التي
كابدها في موتهِ . وعرفها بما عرض لهُ . فاخذ
يطوف البلاد والقرى ويبشّر بالتوبة
ويحذّر الناس عن العصيان ويخوّفهم بالنار
الابديّة . وكان يتضايق في سفرهِ من الم
جروح قدميهِ . ولمّا شاهدته رهبانهُ بهذه الحالة
اخذوا لهُ حمارًا ليركبهُ في سفرهِ * وعمد يومًا
أن يسافر الى قريةٍ . فاستعار حمارًا من احد
الفلّاحين . فرافقهُ الفلّاح إكرامًا لهُ في سفرهِ .
وهجم المساء عليهما قبل أن ينتهيا الى القرية .
فباتا تلك الليلة في صفح الجبل . فطار النوم
من عيني الفلّاح لكثرة البرد . وبقي يتقلّب

من جانب الى جانب . واخذ فرنسيس الشفقة عليهِ . فوضع يدهُ على جبهة الفلاح . فسرت الحرارة في جسمهِ . ونام تلك الليلة باهنأ النوم والراحة *

وفي تلك الأيام استولت أمراض شديدة على فرنسيس . لانهُ اكثر اوقاته كان ينام على القاع . وكان الرب يمتحنه ويكرمهُ بسلبهِ في أمراضهِ وبلاقاتهِ من اللذات الروحية * ومن ذلك انهُ كان يوماً مريضاً . فضاق صدرهُ وانكرب خاطرهُ . فاراد أن يسمع انغاماً لكي يتسلى وينسى وجعهُ . فالتفت الى احد رهبانهِ اسمهُ

بكيفكوس ، وامره أن ياتي بطنبورة ، ويدق بها ليسمع ، لانه كان ماهرًا بهذه الصنعة قبل أن يترهب . فقال : حبًا وكرامةً ، ولكن اخاف على الناس أن يتعثروا بذلك ويقولوا : انّ الرهبان يتلذذون بالنغمات ودق الطنبورة والغناء ، فقال فرنسيس : صدقتَ يا ولدي ، فليكن ما قلتَ ، دع هذا واشتغل بما كنتَ فيهِ ، وعند كمال قولهِ ارسل الله تعالى ملاكًا معهُ آلات موسيقية من السمآء ، واسمعهُ نغماتها بألحان لذيذة ، فامتلا قلبهُ وجسدهُ فرحًا وسرورًا لا يُقدّر ولا يوصف ، لانهُ يتفوّق جدًّا على جميع أفراح الدنيا ۞ وناهيك

أنّه ليس يوجد فرحٌ اكمل والذّ من فرح الفردوس السموي ولذّاته . لانّ الانسان يستمرّ فيه الى الابد مسرورًا بغير خوف زواله . وهكذا لا يمكن للانسان أن يحصل له الفرح الاكمل الذي هو نهاية الأفراح الّا متى ما تاكّد عنده أنّه وارث تلك الأفراح الملكوتيّة المقول عنها في احدى رسائل بولس الرسول : لا راته عينٌ ولا سمعت به اذنٌ ولا خطر على قلب بشر ما اعدّه الله للذين يحبّونه ❊ ثمّ انّ الله تعالى تفضّل على فرنسيس بالهام ما عدا اللذّات الروحيّة أن يواتي الى القدّيسة كلارة ليزورها . وكان معدُ

وبهِ مات ، وقبل موتهِ بستة أشهر لمّا شاهد أهل اسيسيا أنّ أمراضهُ قد كثرت خافوا أن يموت خارج مدينتهم ، فاجتمعوا اليهِ واعلموهُ بقصدهم ، فاجابهم : حبًّا وكرامةً ، ورضي بالرجوع اليهم ، ولو كانوا قد اهانوهُ واحتقروهُ في ابتداء تركهِ العالم ، فرجعوا بفرنسيس راكبًا معهم سائرين الى أن نفدت زوادتهم ، فنزلوا حول قرية ، وذهب وكيل النفقات مع ثلاثة رجال ، وطافوا القرية ، فلم يبعهم احد خبزًا بالدراهم ، فرجعوا اخيرًا واخبروا بالقضية ، ووصل الخبر الى فرنسيس ، فقال : هذا دليل على

ذلك الدراهم، وانتم فضّلتم الدنيا على الله،
امضوا الآن واطلبوا منهم بحبّ الله،
وتبصروا كيف يحسنون اليكم ويعطونكم،
فذهبوا الى القرية، وطلبوا منهم صدقةً
بحبّ الله، فحنّت عليهم قلوبهم، واعطوهم
كلّ ما احتاجوهُ واكثر ممّا ارادوا، فلمّا راى
فرنسيس ذلك التفت نحو الاكابر الذين
كانوا حولهُ وقال لهم: انتم زعمتم أنّ الطلبة
بحبّ الله عار، وأنّها مكروهة عند الناس،
انظروا ما صنع معنا الله لمّا اعتمدنا على
لطفهِ. فلم يجبهُ احد بكلمة، وانذهلوا
متحيّرين من هذا الامر. فاذ وصلوا الى سينا

ذهبوا بفرنسيس الى بيت المطران . واتوهُ بالطبيب المعتاد على مداواته في امراضهِ . فسالهُ فرنسيس : احكم بالصدق واخبرني عن نهاية مرضي مثلما في ضميرك . فاني لا اخاف من الموت . فتامل الطبيب قليلاً وقال : ان رايي أنك لا تتجوز من تشرين الثاني وتنتقل الى الآخرة والله اعلم . ففرح فرنسيس فرحًا عظيمًا لما سمع قولهُ . وجلس يقدم الشكر لله . ويتخاطب بذكر الموت ويقول : مرحبًا بالفرح بعد الشدة . مرحبًا بالراحة بعد العناء . مرحبًا بالفضاء بعد السجن . مرحبًا بوصول

المشتاقين بعضهم الى بعض ٠ لاني بدأ افلت من سجن الدنيا وهمومها وقيد الطبيعة وغموضها ٠ واصل الى الفردوس ٠ واقف قدام الله والمسيح والقديسين الذين عبدوه وارضوا مشيئته ۞ ومن ذلك الوقت ما كان يقدر أن يخفي ما يظهر له من الأفراح والمسرّات في قلبه ٠ لانه تحقق زمن سفره من هذه الحيوة لمشاهدة الله الى الابد بصحبة الملئكة ٠ وما كان يفتر من التسبيح في الليل والنهار ٠ واوصى تلاميذه أن يفعلوا نظيره لئلا يحسّوا بالالم الذي يصيب الجسد بل يفرحوا بالسرور الذي في أرواحهم ۞

واتى الراهب ايليا وكيل الرهبان ليزوره قبل موته، ولمّا دخل عليه شكر الله تعالى وحمده لانّه رآه فرحان قبل موته، ولم يستغفر لكن بقي يسبّح ويقدّس بفرح وطمانينة، وما بكى على خطاياه ولا خاف كالاوّل. فكلّمه الراهب قائلاً: يا ابانا كلّ أصحابك قد فرحوا لمشاهدتهم فيك فرحًا، وذلك من طهارة نفسك التي جعلها الله نقيّةً طاهرة من جميع الأدناس، ولكن لعلّ العامّة تتعثّر متى ما راتك بهذا السرور، وأنّك لا تذكر خطاياك السالفة ولا تستغفرها ولست على حذرٍ منها، مع أنّك انتهيت

الى آخر عمرك . فاجابهُ فرنسيس وقال : دعني يا اخي مشتغلاً بسروري وتعبدي للّه تعالى . واذا كان بيني وبينهُ سلامة فانا لا ابالي . انسيتَ ما اخبرتني بهِ منذ سنتين عن الملاك الذي انبأك بموتي وارتحالي من دار الفناء . فمن ذلك اليوم الى الآن اجتهدتُ بالنموّ في الطاعة والعبادة والندامة على خطاياي وفاءً لما بقي عليّ للّه واستعددتُ للموت قبل وقتهِ . ولكنّ اللّه برحمتهِ العظيمة اوحى اليّ بانّي من عدد المنتخبين . فلا يمكن زوال هذا السرور والفرح من قلبي . ولا اقدر أن اخفيهُ ابداً . والحال أنّ ارتحالي قد قرب .

وافارق هذا الجسد الكثيف . واعود روحًا واطير مع الأرواح الصالحة . والله لا يدعهم أن يتعثروا بي من قبل هذا الفرح . فسكت ايليا ولم يجاوبهُ ☼

—⁂—

الفصل التاسع والخمسون

في نساية فرنسيس الطيك بونردوس وبركته له

ان القديس فرنسيس لمّا تحقق وقت انتقالهِ من الدنيا طلب من اهل اسيسيا أن يحملوهُ الى كنيسة السيدة ليفارق الحيوة الزائلة في المكان الذي وجد فيهِ الحيوة الدائمة . فحملوهُ وذهبوا بهِ . ولمّا بلغوا الى نصف

الطريق التفتت فرنسيس الى المدينة وباركها ودعا لها بالنموّ والبركة قائلاً: بارك الله فيك، وسوف يخلص منك اناس كثيرون رجالاً ونساءً، وتعودين مأوى لعباد الله، ثم توجّهوا الى كنيسة السيّدة، فسمعت القدّيسة كلاره بقدومه هناك، وكانت مبليّة بمرض شديد، فارسلت اليه قائلة: اني ايضًا اشرفتُ على الموت، فالتمس من فضلك أن تمرّ في طريق دير سان دميانوس، وتباركني انا والراهبات اللواتي هن تحت تدبيري قبل ارتحالك الى الآخرة، فمنعته وجوه المدينة عن المضيّ خوفًا أن يصيبه

ضرورة · فالتفت فرنسيس نحو رسولها وقال له: اذهب الى كلارة · واقرئها السلام منّي · وقل لها: انّ الله تعالى قد بارك عليها وعلى راهباتها · وانا الحقير ايضًا باركتُ عليها وسوف تشاهدني مع اخواتها قبل أن تموت * وصحّ ما قالهُ فرنسيس · فانّ اهل المدينة لمّا اخذوا جسدهُ بعد موتهِ ليجلبوهُ الى اسّيسيا مرّوا بهِ على دير ماردميانوس · وادخلوهُ عند الراهبات * فمضى الرسول الى كلارة * وبعد أن وصلوا الى الكنيسة افتكر أن يطلب ما يحتاج لجنازتهِ · فقال: هل يوجد مَن يذهب الى رومية العظمى عند المرأة

الشريفة المدعوّة ياقبينا سبع شموس وبطلب لي منها جوخًا وشمعًا الحجّازي. فانّي قد اوحي اليّ بيوم وفاتي. فقالوا: نعم. فجاء واحد وقال: انا اذهب. فكتب فرنسيس كلّ ما يحتاج اليهِ. وكتب لها ايضًا: إن اردتِ أن تنظريني قبل موتي فهاتي معكِ كلّ ما طلبتُ. وتعالي قبل يوم السبت ❊ ثم اوحي اليهِ الرب أنّ ياقبينا سبع شموس قد خرجت من رومية. وهي جائية في الطريق. فقال للكاتب: خزّق الورقة. فلا حاجة اليها. وقبل أن يفرغ من كلامهِ اذا برجل اقبل مخبرًا بقدوم المراة. قائلًا: انّ ياقبينا سبع

شموس قد اتت، وهي واقفة على الباب مع اثنين من اولادها، وهولاء كانوا من أعيان رومية، وكان بصحبتهم اناس كثيرون اتوا للزيارة، فلمّا دخلت المراة على فرنسيس شرعت تبكي وتنتحب على فراقه، ونظرت جروح يديه وجنبه وقدميه، فتذكرت جروح المسيح، واستمرت تتأمل فيهنّ وهي مخطوفة عن الحسّ، وما افاقت الى أن دعاها فرنسيس وكلّمها، وسألها: كيف جرى امرك وما سبب مجيئك، فطفقت تحكي قصتها وقالت: انّي كنتُ اصلّي في حجرتي في احدى الليالي، فسمعت

صوتًا يقول لي: ان اردتِ أن تري مار فرنسيس حيًّا فادركيهِ الى كنيسة السيّدة. فانهُ مقارب الموت. وخذي معكِ كلّ ما يحتاج الجنازة. فقمتُ حالًا وهيأتُ كلّ لوازمي. وخرجتُ من رومية. واتيتُ اليوم اليك. فشكر فرنسيس الربّ * ثمّ انّ المرأة ظنّت أن مرض فرنسيس يطول. فعزمت أن ترسل اولادها الى رومية مع الجماعة. فسمع فرنسيس وقال: لاتستعجلوا بالذهاب لانّي يوم السبت اموت. وبعد موتي اذهبوا جميعًا * فاخبرتهُ بكلّ ما جرى لها. وطلب منها أن تطبخ لهُ طعامًا مثلما كانت تطبخ لهُ

في رؤيته . ففعلت . ولما حضر الطعام نادى تلميذهُ برنردوس . وامرهُ أن ياكل معهُ . فاكلا كلاهما * وبعد الغداء طلب منهُ برنردوس أن يباركهُ قبل موتهِ . فرضي * وامر أن يكتبوا الوصية مثلما يقول . فقال : اول من تبعني في سلوك المشورات الانجيلية هو برنردوس . ومن ذلك اليوم الى الآن هو ماكث بطريقي . فارجو من الرؤساء أن يحبوهُ ويكرموهُ مثلما يحبوني ويكرموني * ثم امرهُ أن يقف عن يمينهِ . ولكن ايليا اقسم على برنردوس بحب المسيح أن يجلس هو عن يمين فرنسيس لينال منهُ البركة . فرضي

برنردوس . ولم يكن يعلم فرنسيس لانه لم يكن ينظر . فلمّا وضع يدهُ على راسه ظنّ بفكره أنّهُ ايليا رئيس الرهبان . فصاح وقال : برنردوس . فقال : نعم . فلمّا علم أنّهُ واقف عن يسارهِ حوّل يدهُ . وباركهُ مثلما فعل يعقوب باولاد ابنهِ يوسف وافرام ومنسّا لمّا باركهم . لانّ قصد يوسف كان أن يبارك يعقوب على منسّاء . فافامهُ عن يمينهِ . فحوّل يعقوب يدهُ بهيئة الصليب . وبارك افرام الواقف عن شمالهِ . وهكذا حوّل فرنسيس يدهُ بهيئة الصليب . وبارك على برنردوس قائلاً : بارك الله فيك يا برنردوس .

والسيّد المسيح يزيد خيراتك الروحيّة • لانّك اوّل مَن دخل هذه الرهبنة • وتبعتَ المشورات الانجيليّة • وسلكتَ في طريق المسيح بالفقر وباقي الشدائد العارضة في خدمتهِ • وتركتَ كلّ مالك من اجل محبّته تعالى • وقدّمتَ نفسك وجسدك ذبيحةً لهُ • ولذلك تكون مباركًا من سيّدنا يسوع المسيح ومن عبدهِ الحقير • فمَن قبلتهُ في الرهبنة فليُقبَل ويمكث بها • ومَن نفيتَهُ واخرجتهُ فليكُن خارجًا عنها • ومَن امرتهُ بالذهاب من مكان الى مكان فلا يقاومنّك • ومَن امرتهُ بالاقامة في مكان فلا يخالفنّك ابدًا •

بسم الآب والابن والروح القدس امين ☼
ثمّ اخذ فرنسيس يقرّر وصيّته لكلّ رهبانه ، وهي الآتي ذكرها في الفصل التابع ☼

الفصل الستّون

في وصيّة مار فرنسيس قبل وفاته

قال فرنسيس : انا العبد فرنسيس قد منحني الربّ الهي أن ابتدئ بالسلوك في طريق التوبة . لانّي حينما كنت من اهل الخطايا كنت اكره النظر في البرص . والله الهمني أن امضي عندهم . والقى في قلبي الرحمة عليهم . ولمّا رافقتهم صار ذلك بيان

لي احلى من السكر بعدما كان لديّ مرًّا ✻
وبعد مدة قليلة تركتُ العالم . والله تعالى
وهبني الايمان والتكريم للكنائس . وكنتُ
اسجد له فيها قائلا : نسجد لك ايها المسيح
ونباركك لانك بصليبك المقدس افتديتَ
العالم . ونسجد لاسمك القدوس هنا وفي
جميع الكنائس الموجودة في العالم ✻ ومنحني
التكريم والاحترام لكل من في الكنيسة
الرومانية من الكهنة من اجل درجتهم .
ولو طردوني لعدتُ اليهم . وكنتُ اذا مررتُ
بكنيسة فيها كهنة وديعون لم اكرز فيها من
دون ارادتهم . وان كنتُ حكيمًا مثل

سليمان فاردت أن اكرم الكهنة واحترمهم ·
وإن رأيتُ احداً منهم فعل خطيّةً اعرضت
عنها · لانّهم ساداتي وانظر فيهم المسيح
ابن الله (انّما فعلتُ هذا لانّي ما عرفتُ
في هذا العالم شيئًا سوى المسيح ابن الله)
وجسدهُ ودمهُ الذي يقدّسونهُ ويتناولونهُ
ووحدهم يناولونهُ لسائر المؤمنين · واردتُ
أن اكرم تلك الأسرار المقدّسة واحترمها
واضعها في اوانٍ مقدّسة جليلة · وكنتُ
حيثما وجدتُ اسماءها مكتوبةً وساقطةً في
اماكن غير لائقة رفعتُها ووضعتُها بامكنة
طاهرة رفيعة * واطلب من جميع الرهبان

أن يفعلوا هكذا * ثمّ يجب ايضًا الإكرام لكلّ العلمآء الذين يعلّمونا الكلام الالهي المقدّس كانّهم يمنحونا الروح والحيوة الروحيّة * ولمّا لطف بي الربّ وانعم عليّ بالاخوة ما ارتشدتُ باحد منهم . بل الهمني الله السلوك في المشورات الانجيليّة . وكتبتُ القانون بوجه الاختصار . والبابا اجازهُ واثبتهُ * واوصي الذين هم في هذا العالم أن يتصدّقوا بجميع أموالهم على الفقرآء قبل أن يدخلوا الرهبنة * ثمّ قال : ولمّا تمكّنّا في الرهبنة كنّا نكتفي بكسآء واحد مرقّع ظاهرًا وباطنًا . وذلك حسب ارادة كلّ واحد منّا .

ونتمنطق بزنار من حبل . وما طلبنا اكثر
من ذلك * ونحن الشمامسة كنا نصلي
كالشمامسة . واما الرهبان الاخر فكانوا
يصلّون الصلوة الربية . وكنا ساكنين
مقيمين برضا تام في الكنائس الخالية
المهجورة * وخضعنا بالوداعة للناس كلهم
وانا اشتغلت مع رهباني . والجهال في
الصنعة امرتهم أن يتعلموا ليس رغبة في
الاجرة بل ليكونوا قدوة صالحة لغيرهم ويفروا
من البطالة . وكنا متى ما لم ننل اجرا تعابنا
نلتجئ الى مائدة المسيح بطلب الصدقة
من باب الى باب *

والباري تعالى الصمدي أن اسلّم على
الناس، وهكذا منحهم الله السلامة وان قرّروا
للاخوة كنائس او بيوتًا يجب على الاخوة
أن لا يقبلوها ما لم تكن مناسبة للفقر المقدّس
الذي نذرناهُ للّه في القانون • وأن يسكنوا
فيها كالمسافرين والغربآء * واوصيكم بحق
الطاعة المقدّسة أن لا تطلبوا من الكرسي
الرسولي أشيآء كالرسائل والمناشير وغير
ذلك، ولا تتوسّلوا اليهِ باحد او بذاتكم
لتعمير كنيسة او للسكنى في مكان، او للكرز
او لصيانة أجسادكم، لكن ايّ مكان لم
يقبلكم فامضوا الى غيرهِ بنعمة الله، واثبتوا

وصلّوا فيه * واريد أن تظهروا الطاعة لاكبر الروساء من هذه الرهبنة ولاصغرها . ولذلك الرئيس الذي تكونون تحت حكمه فلا يجوز لكم أن تفعلوا شيئًا يخالف ارادته . لانه كالسيّد * واذا مرضتم فاستدعوا احد الشمامسة ليتلو قدامكم الصلوة المحرّرة في القانون * واوصيكم أن تقوموا بواجباتكم وتوفوا الصلوات المفروضة في القانون . وان وجد بينكم من يابى عن تلاوة الصلوة الفرضيّة او يقصد تغييرها او ليس هو بكاثوليكي . فيجب على الاخوة جميعًا بالطاعة المقدسة أن ياخذوه الى نائب البلد

الموجود فيها . والنائب ايضًا ملزوم بالطاعة
أَن يحفظهُ عندهُ . ويراقبهُ ليلاً ونهارًا مثل
المسجون الذي لا يقدر أَن يهرب . الى أَن
يسلّمهُ بنفسهِ للرئيس الكبير . وهذا يرسلهُ
مع رهبانٍ يحرسونهُ . حتّى يبلغوا بهِ عند
الكردنال مدبّر الرهبنة . ويسلّموهُ لهُ * ولا
تقولوا انّي رسمتُ لكم قانونًا ثانيًا . لانّها
نصيحة ووصيّة رسمتُها انا الراهب الحقير
لكم يا اخوتي المباركين لتحفظوا بها القانون
الذي نذرتموهُ للسيّد المسيح بافضل كمال
وامانة * واوصي وصيّة أكيدة بحقّ الطاعة
المقدّسة الرئيس الكبير والذين تحت

سلطانه أن لا يزيدوا او ينقصوا شيئًا من هذه الوصيّة ولتكن محرّرة مع القانون ولا يفرقوها ابدًا وليقرأوها مع القانون في اجتماعاتهم ولا يأوّلوا القانون ولا هذه الوصيّة قائلين: انّ معناهما كذا او كذا. لكن مثلما الهمني الله وانعم عليّ أن اكتبهما بالفاظ غير محرّفة فهكذا اريد أن تقبلوهما وتتمسّكوا بهما بغير تاويل او تفسير وتحفظوهما معكم كلّ منكم الى آخر عمره وكلّ من يحفظهما بالتدقيق ارجو أن يمتلىء في السماء من بركات الآب العالي وهنا من بركات السيّد المسيح ابنه الوحيد مع الروح المعزّي * ولله

المجد والكرامة الآن والى الابد ❊ وانا فرنسيس عبدكم انبت هذه البركة عليكم ظاهرًا وباطنًا . هذا ما استطعتُ حسب قوتي ❊ وهي تستمرّ عليكم ثابتة مع القوى العلويّة وسائر القدّيسين الى ابد الابدين امين ❊

الفصل الحادي والستون

يتضمن موت مار فرنسيس السرافي الكريم

بعد ما ختم فرنسيس وصيّتهُ هذه كثرت أمراضهُ . وتوهّم الجميع أنّهُ قد حضر وقت وفاته . فدعا كلّ الرهبان الموجودين في الدير الى حجرته . وجميعهم خرّوا باكين

عليهِ • فلما راى بكآءهم رقّ قلبهُ عليهم •
واخذ يتمعّن بعينيهِ • لانّ الظلمة كانت قد
انحلّت عن بصرهِ قليلاً * ووضع يدهُ على
راس كلّ واحد منهم فردًا فردًا وبارك عليهم
جميعًا الحاضرين والغائبين • وعلى كلّ من
سيدخل رهبنتهُ * ولكي يسلّيهم بالتمام
امر أن ياتوهُ بخبز • فاتوهُ بما تيسّر لهم • فاخذهُ
وقسّمهُ عليهم قائلاً : خذوا فكلوا كلّكم ذكرًا
لموتي ليفرح خاطري * فاذ سمعوا كلامهُ
ازدادوا في البكآء • ثمّ اخذوا الخبز • والبعض
اكلوهُ والبعض حفظوهُ • وصار منهُ فوائد كثيرة
للمرضى * واوصاهم أن لا يتركوا كنيسة

السيّدة . وقال لهم : ان طردوكم من الباب
فادخلوها من باب آخر . لانّ هذا المكان
بيت الربّ ومريم العذرا وجميع الملائكة
والقدّيسين . وفيها ازدادت رهباني عددًا .
وكلّ ما سالوهُ فيها منحهم ايّاهُ تعالى * فحضر
زمان انتقال مار فرنسيس من هذا العالم الى
الآخرة . وكان ذلك في اليوم الرابع من
تشرين الاوّل نهار السبت سنة ١٢٢٦
لميلاد المسيح بعد تاسيس رهبنته بعشرين سنة
وقد جلاهُ الله بالشدائد والأحزان والبلايا
والاوجاع ليكون مستعدًّا وقابلاً لبناء المدينة
السموية المدعوّة اورشليم * فلمّا علم أنّ

الساعة حضرت قام وخلع ثوبهُ ، والقى
نفسهُ على الارض ، ووضع يدهُ اليسرى
على جنبهِ واخفاهُ ، ثمّ رفع طرفهُ الى السماء
وشكر الله حيث اوصلهُ الى آخر عمرهِ مشابهًا
للمسيح بموتهِ عريانًا ، ثمّ اوصى الى رهبانهِ
براسهِ قائلًا : اني فعلت الواجب عليّ *
واذ شاهد رهبانهُ في تلك الحالة ازداد بكاؤهم
وتحيبهم دموعًا غزيرة ، فاتاهُ الرئيس بثوب
خلق ، وقال لهُ : يا ابانا خذ هذا الثوب فالبسهُ
بحق الطاعة المقدسة اعارةً لك ، واذ سمع
ذلك فرح فرحًا عظيمًا لان عمرهُ انقضى
بالفقر ، واتاهُ الموت وهو فيهِ ، بما انهُ يرجع على

الفضائل باسرها ❊ ثمّ قال لهم أن يتركوا
جسدهُ ملقى على الارض نحو ثلاث
ساعات بعد المفارقة احتقارًا لنفسهِ ❊ وبعد
ما لبس الخلق جهّزوهُ بالأسرار المقدّسة
اي الاعتراف والتناول وزيت المسحة ❊
ثمّ اوصاهم بان يحبّوا الله وبعضهم بعضًا
وسائر الناس ، وامرهم بالطاعة للكنيسة
الرومانيّة ، واوصاهم خاصّةً أن يلازموا الفقر
ويفضّلوهُ على جميع الامور الدنيويّة ،
وباركهم قائلاً : بارك الله فيكم يا اخوتي ،
وانا باركتُ عليكم ، واسأل أن تثبت هذهِ
البركة في السمآء ، استمرّوا جميعًا في خوف

الله وعبادتهِ الى آخر نفس من حياتكم ، ولا تتباعدوا عنه وتخالفوهُ ابدًا ، بل انجزوا انذركم فانّي ماضٍ الى الله ، واسالهُ أَن يثبّتكم في نعمتهِ آمين ✻ ثمّ طلب أن ياتوهُ بالانجيل ويقرأوا لهُ ما ذكرهُ يوحنّا الانجيلي في الباب الثالث عشر الذي مطلعهُ : وكان يسوع يعلم أن قد حضرت ساعتهُ لكي ينتقل من هذا العالم الى الاب الخ ✻ ثمّ شرع يتلو المزمور المئة والحادي والاربعين قائلاً : بصوتي الى الربّ صرختُ بصوتي الى الربّ تضرّعتُ الخ ، واذ وصل الى آخرهِ حيث يقول اخرج من الحبس نفسي لكي اشكر

اسمك يارب ·اياي ينتظر الصديقون حتى تجازيني خرجت روحهُ مفارقةً الجسد · وطارت الى الملكوت لتبتهج بصحبة الملئكة والقديسين الى الابد ✻ وفي تلك الساعة كان الراهب أنجلو رئيس بلاد نابلي بمرض شديد · ولم يستطع التكلّم · فرأى روح فرنسيس ارتفعت كالنجم في سحابة مضيئة جدًّا · فصاح: انتظرني يا ابي لاتبعك · فسالهُ الحضّار: ما شانك · فقال: اما رايتم روح ابينا فرنسيس قد فارقت جسدهُ وطارت الى السمآء ✻ وقبل أن يتمّ كلامهُ هذا خرجت روحهُ · وتبع معلمهُ فرنسيس صاعدًا

الى السمآء معهُ *

الفصل الثاني والستون

في ظهور فرنسيس بعد موته وفي دفنته

كان في ذلك اليوم مطران اسّيسيا منطلقًا الى كنيسة مار ميخائيل رئيس الملائكة المبنيّة على جبل غرغان . فظهر لهُ فرنسيس في ساعة موته قائلاً : اعلم أنّي فارقتُ الدنيا . وانا ذاهب الى الملكوت * ولمّا اصبح المطران اخبر اهلهُ بوفاة فرنسيس وانتقال نفسه الى الملكوت . وقد صحّ ذلك فانّهم لمّا دخلوا اسّيسيا وجدوا احد رهبان فرنسيس

كان يصلّي في تلك الليلة رأى فرنسيس
في ساعة موته لابسًا بدلة شماسة مفتخرة
وجماعة كبيرة تبعته حتّى وصلوا الى منزلٍ
جليل مزيّنٍ زينةً فاخرة. وفهم أنّ الجمع
الذي رآه مع مار فرنسيس هو نفوس قد
خرجت من المطهر بجاه شفاعته * وفي
الغد اجتمع أنواع من الطيور كثيرة بعد
طلوع الفجر فوق سطح المكان الذي مات
فيه مغرّدات بألحان لذيذة يشكرن الله
على ما انعم به على فرنسيس في حياته
وموته * ومكثت هذه الطيور على حالتها
مغرّدة مدّة ثلاث ساعات * ولمّا سمع الناس

بموت فرنسيس اجتمع كثيرٌ ليروا جسدهُ ،
وكان بينهم واحد اسمهُ هيرونموس ، وكان
مرتابًا في جروح فرنسيس ، لانّهُ سمع بها ولم
ينظرها ، فدخل المكان ووقف امام
فرنسيس ، وشاهد جروحهُ ، وازال عنهُ
الشكّ ، ولم يشبع من النظر اليها حتّى
لمسها ☼

ومن حيث انّ جسم فرنسيس كان
ضاربًا الى السمار من التقشّف فاذ مات
ابيضّ كالكافور في جميع اجزائهِ سوى كفّيهِ
وقدميهِ وجنبهِ ، لانّ اللحم المصوّرة فيهِ
المسامير كان لونهُ حديديًّا متّحدًا

بالأعصاب يمينًا وشمالاً • ومكث الرهبان
والناس نهارًا وليلاً بالصلوة والتسبحة
مرتلين المزامير وشاكرين اللّه على ما انعم
بهِ على مار فرنسيس • حتى ان الذي لم
يعرف ظنّهم يعيّدون عيدًا لقديسٍ ما ❊
وكانت ياقبينا سبع شموس حاضرةً بينهم •
لا تفارق جسدهُ حزينةً عليهِ • وكانت تضع
وجهها على جروحهِ ساكبةً الدموع فوقها
حتّى ابتلّت ❊
ثمّ انّ اهل اسّيسيا من خوفهم على
جسد مار فرنسيس أن يعرض له عارض او
يسرقهُ الذين حول كنيسة السيّدة ليلاً قالوا

لياقبينا : دعيه أن ناخذهُ الى انتيسيا ،
فاجابت الى ذلك ، وقامت طيّبت
جسدهُ ، والبستهُ ثوبًا جديدًا كانت قد
صحبتهُ معها بحسب امر الملاك الذي ظهر
لها ، والرهبان شقّوا الثوب عن جرح جنبهِ
ليكون مكشوفًا للعيان ، ووضعوهُ في النعش
وحملوهُ من الكنيسة الى المدينة * واجتمع
كثرة من الاكابر والأعيان والرعايا والرهبان
لتشييع جنازتهِ في ايديهم شموع وسعف
نخل حتّى بلغوا دير مار دميانوس * فادخلوا
جسدهُ عند العذراء كلاره ، وتمّ ما قال قبل
موتهِ : ستراني هي واخواتها قبل موتها ،

فشرعت هي واخواتها يبكين عليهِ نحيبًا حتّى ابتلّ جسدهُ بدموعهنّ من شدّة البكاء. وتقوّت قلوبهنّ على الرياضات التي كان قد علّمهنّ فرنسيس ولاسيّما العذراء كلارة * ثمّ اجتهدت أن تقلع المسامير. فلم تستطِع * وبعدما وقفوا نحو ساعة حملوهُ الى اسّيسيا. وصنعوا لهُ قبرًا جديدًا في بيعة مار جرجس. وجرت عجائب كثيرة عند قبرهِ * واذ وقف غريغوريوس البابا التاسع على ما فعل الله بشفاعة فرنسيس جعلهُ في رتبة القدّيسين *

وشرع اهل اسّيسيا بتعمير كنيسةٍ على

اسمهِ . ومن حيث انهُ قبل موتهِ كان قد
اوصى أن يدفنوهُ في مكانٍ يدعى تلّ جهنّم
حيث كان المذنبون يُقتلون . امر البابا أن
يسمّوهُ تلّ الفردوس * وبعد موتهِ باربع
سنين اجتمعت الروساءُ في اسّيسيا لينظروا
في امور الرهبنة . وينقلوا جسدهُ الى الكنيسة
الجديدة التي بُنيت في اربع سنين * ونقلوا
جسدهُ في اليوم الخامس والعشرين من
ايار سنة الف ومايتين وثلاثين مسيحيّة *
والبابا ارسل واحدًا من قبلهِ معهُ جماعة
رهبان لنقل جسد فرنسيس الى الكنيسة
الجديدة . وارسل معهم صليبًا من ذهب

مزيّنًا بجواهر. وفيهِ قطعة من صليب المسيح ✵
وكما تفضّل الله على فرنسيس في حياتهِ بالكرامات والعجائب كذلك ايضًا اجراها على يديهِ بعد موتهِ بشفاء الأمراض بل زادها عليهِ . لنتحقّق أنّنا بجاههِ تُسدّ حوائجنا ✵ ولهذا ظهر لرفيقهِ لاون بجناحين. وفي يديهِ ورجليهِ أظفار كاظفار النسر. فسالهُ عن ذلك . فقال : انّ الله منحني الاجنحة لاكون سريعًا في الاستجابة لكلّ من يسالني حاجةً . والاظفار والمخاليب لكي احارب واكسر كلّ من يطردني ويطرد رهباني ومحبّيّ ✵
وسنذكر هنا نبذةً ممّا صنع بعد موتهِ ✵

الفصل الثالث والستون

في صنيع فرنسيس الى محبيهِ بالاحسان والمعروف بعد موتهِ

كانت في احدى مدن اسبانيا امراة لها ابنة قد اعتراها دآء الفالج . ولم تستطع أن تحرّك . فحزنت وقالت لابنتها : اسال الله أن ياخذكِ ويريحني من همّكِ * فحزنت الابنة ، وبكت بانكسار قلبٍ ، ولانّها كانت قد سمعت بأخبار فرنسيس قالت في ذاتها : ان كنتَ يا فرنسيس قدّيساً كما تقول عنك الناس اسالك أن تخلّصني ممّا انا فيهِ وتريح امّي من الهمّ * وعند

نصف الليل دخل عليها رجلٌ مترِدٍ
برداءٍ وزنّار ابيض كالكافور، وامسك بيدها
واقامها فوق الفراش وهي متعافية لا
وجع فيها * فسالتهُ مَن انت ، قال : انا
الذي استغثتِ بي امس وطلبتِ منّي
الخلاص . فخرّت على قدميهِ ، وحالاً غاب
عنها * فصاحت امّها واخبرتها بما جرى
لها . فمجّدت الله ، وامتلا قلبها سرورًا .
وفي الغد شاع الخبر ، واتّصل الى اسقف
المدينة ، فامرهم بالحضور الى كنيسة
رهبان فرنسيس ، فلمّا دخلت الابنة رات
صورةً ، فقالت للحاضرين : هذا هو الذي

جاءَ وأبرأني من الفالج . ولم تعلم أَنَّها
كانت صورة فرنسيس ۞ فشكروا اللهَ كلّهم
لعافيتها وشفاعة فرنسيس فيها ۞

ثمّ انّهُ في بلاد كَتَلونيا كان رجل اسمهُ
يوحنّا محبّ لفرنسيس غاية المحبّة . وكان
لهُ صاحب يتردّد اليه صباحًا ومساءً .
فخرج ليلةً ما من بيته لحاجتهِ . فصادف
في الطريق جماعةً . واذ مرّ بهم وثبوا عليهِ
وجرحوهُ كثيرًا حتّى اشرف على الموت .
وكان هولاءَ القوم اعداءً لصديق يوحنّا .
ظنّوا أَنّهُ ذلك . فسقط يوحنّا على الارض
كالميت ۞ فتسامعت الناس . وتراكضوا

اليهِ ، فوجدوهُ ملقى على الارض مغشياً عليهِ ، فحملوهُ الى بيتهِ واحضروا الاطبآ لمعالجتهِ ، فزعم كل مَن رآهُ أنّهُ يموت لا محالة ، لانّ الجرح كان في صدرهِ ، وكان النَفَس يخرج منهُ بقوّةٍ تطفئ السراج * وبعد ثلاثة ايامٍ فسدت جروحهُ وانتنت ، فلمّا راى أنّهُ قد عجزت الاطبآء عن مداواتهِ نادى فرنسيس وهو ممتدّ على فراشهِ وقال: يا فرنسيس ادركني في هذهِ الشدّة ، لانّي مائت بهذهِ الاوجاع الكريهة * وفي الحال ظهر لهُ رجل بهيئة رهبان فرنسيس دخل عليهِ من الشبّاك وصاح قائلاً : يا يوحنّا

أبشّرك أنّ الله شفاك من جروحك لمّا استغثت بي . فقال لهُ: مَن انت . فقال انا فرنسيس . ثمّ دنا من فراشهِ . ورفع اللفائف والمراهم عن جروحهِ . ودهنها بدهن طيّب الرائحة . فقام لوقته متعافياً وخرّ ليقبّل قدمي فرنسيس . فغاب عنهُ ❊ فشكر الله . واخبر اهلهُ بما جرى لهُ . فحمدوا الله وشكروهُ ❊

وكان في مملكة نابلي رجل يحبّ فرنسيس مع زوجتهِ محبّة عظيمة . وكانت لهما ابنة وحيدة . فعرض لها مرض . وماتت غفلةً . فبكيا عليها بكآءً مرّاً واشتدّ حزن المرأة .

ولم تقدر السكون لشدّة حبّها لها * واجتمع الناس ليدفنوا الابنة ، فمنعتهم امّها ، وفيما كانت تبكي وتضرب على صدرها ظهر لها مار فرنسيس ، ولم يرَهُ احد غيرها ، وقال لها: لا تبكي ، لانّ الشمعة التي طُفئت ستوقد ثانيةً ، فحكت الناس ما سمعت ، واقبلت الى الابنة ، ووضعت يدها على صدرها ، واستغاثت بفرنسيس ، فعادت في الحال روحها اليها ، وقامت على قدميها تشكر الله * وتعجّبت الناس من ذلك ومجّدوا الله *

ثمّ انّ رهبان فرنسيس احتاجوا مرّةً في مدينة الى عَجَلة من رجل ، فابى ولم

بعطهم ، وشتمهم هم ورئيسهم فرنسيس ،
فانكسرت خواطرهم ، ورجعوا الى ديرهم ❊
وكان لذلك الرجل ولدٌ ، فعرض لهُ حالاً
مرض ، ومات ❊ فلمّا راى ابوهُ ذلك شقّ
ثيابهُ ، وزاغ عقلهُ ، واشتدّ بكاؤهُ على موت
ابنهِ ، وتذكّر انّهُ كان قد شتم مار فرنسيس ،
وندم ندامةً كلّيّة على ما صنع ، وقال :
يا مار فرنسيس انّ الخطا صدر منّي . فما لك
وولدي ، خذني انا فانّي اخطأتُ ،
وندمتُ على ما فعلتهُ ❊ فلمّا راى فرنسيس
ندامتهُ القلبيّة توسّل الى الله . فاحيا الولد ❊
وحكى الصبيّ اهلهُ وقال : لمّا خرجت

روحي استقبلها فرنسيس . ولمّا صارت الندامة منكم اعادها الى جسدي ☼

ثمّ انّهُ في بلاد رومانيا كان رجل من أعيان المدينة سُرق لهُ من المال مبلغ كبير. فاتّهم احد خدّامهِ . واوثقهُ في سجن مظلم ☼ فتوسّلت اليهِ زوجتهُ قائلةً : ايّها السيّد انّ خادمك هذا بريّ من ذلك . لانّي جرّبتهُ مرارًا عديدة . فوجدتهُ امينًا . فاطلقهِ ☼ فلم يرضَ . بل زاد عليهِ السلاسل . واذ يئست زوجتهُ توسّلت الى مار فرنسيس . لانّها كانت تحبّهُ قائلةً : يا مار فرنسيس أنت تعلم أنّ هذا الرجل امين . فتوسّل من اجلهِ

الى الله ليخلص ☼ وفي نصف تلك الليلة
اتى مار فرنسيس الى باب السجن . واقتلعهُ
والقاهُ جانبًا . ودخل عند الرجل . وفكّ القيود
كالشمع والقاها عنهُ ☼ فقام ذلك المسكين
ليقبّل يديهِ . فغاب عنهُ . فمجّد الله وشكرهُ .
وفي الغد شاع الخبر وتيقّن الامير أنَّهُ بريءٌ .
فاحسن اليهِ . وانعم عليه ☼

ثمّ انّ احد الاكابر اقرض مرّةً رجلاً فلّاحًا
دراهم بشرط أن يوفيها لهُ في الحصاد . واتّفق
أنّ الزرع لم يات تلك السنة . وحين
الحصاد اعتذر الفلّاح عند صاحب الدراهم
قائلاً : يا سيّدي انّ الزرع لم يقبل لقلّة المطر .

والذي نبت لم يوفِ خُمس حقّك، امهلني في السنة الآتية فاوفيك بالتمام ان شاء الله، فلم يشأ، وقال: لا بدّ من إحضار الدراهم ☼ فاعتذر ثانيةً، وطلب منه مُهلةً بحبّ مار فرنسيس قائلاً: امهلني، فلم يقبل، بل اوثق يديهِ ورجليهِ، وحبسهُ في سجن مظلم، واغلق عليهِ الباب قائلاً: لا السلطان ولا فرنسيس يخلّصك من القيود، حتّى توفي حقّي ☼ فانكسر خاطر الفلّاح، وبات تلك الليلة حزينًا كأيبًا غريقًا في بحر الأفكار، لا يدري كيف يعمل، فقام ليستعين بالله، وصلّى اليهِ، مستغيثًا بمار فرنسيس

لعلّهُ بجاهه تقبل صلاته ۞ وبينما هو يصلّي
اذا برجلٍ طرق الباب ، فانقلع وتفتّت
الأقفال ، ودخل عند الفلاّح ، وفكّ قيودهُ ،
فخرج فرحان مسرورًا ، وفي الغد راى سيّدهُ
ذلك ، وتيقّن أنّهُ من عمل مار فرنسيس ۞
وان امراة جليلة القدر زوجة احد امرآء
البنادقة تعسّرت ولادتها ثلاثة ايّام كاملة ،
وحكم جميع الاطبّاء بموتها ، وكانت تارةً تصيح
وتارةً تقلق وتارةً تغيب وتارةً تصحى ۞
فاستغاثت بمار فرنسيس في قلبها قائلةً :
انّ جسدي كلّهُ ترضّض كالهشيم ، وكلّ عضو
مني يشكو الف نوع ، وبطلب النجاة بالف

لسان ، وكلّ لساني عن النطق ، ادركني يا مار فرنسيس * وللوقت زالت الاوجاع عنها ، وولدت ابنًا ، ولمّا تعافت تذكّرت أنّها أنذرت في نفسها قائلةً : ان نجوتُ من هذه الشدّة أبني لفرنسيس كنيسةً ، فشرعت في عمارة كنيسةٍ لرهبان فرنسيس عوض نجاتها *

ثمّ اتّفق أنّ امراة من اكابر النساء لم يعِش لها ولد ، وكانت اولادها تموت في السنة او السنتين * فحملت اربعة اشهر ، وكانت تخاف أن يموت الولد كما جرى لها سابقًا ، فتوسّلت الى مار فرنسيس أن يحفظهُ لها ،

وبينما هي نائمة ليلةً ما رات في الحلم امراةً دائرةً في البيت وفي يدها صبيٌّ . فناولتها اياهُ . أمّا هي فامتنعت . فناولتها اياهُ ثانيةً قائلةً : خذيهِ وربّيهِ باسم فرنسيس . فانّه يعيش . ولمّا استيقظت وثق قلبها وفرحت . ولمّا حان وقت وضعها ولدت ابنًا . وربّته تربيةً حسنةً . وعاش زمانًا طويلاً ☼

وحدث ايضًا أنّ جماعةً من التجّار نزلوا في سفينةٍ . وساروا بحرًا مسافةَ خمسة عشر ميلاً بقرب مدينة بيروت . فهاج البحر عليهم . وهبّت العواصف حتّى تقطّعت حبال المراسي . فالقوا المراسي في البحر لعلّ

السفينة تستقرّ ، واخذوا يستغيثون بالقدّيسين واحدًا فواحدًا ، ولم ينجوا ، وزادت الأمواج * فقام واحد ، وقال بوجه الاستهزآء : انتم استغثتم بجميع القدّيسين ولم تنجوا هلمّ نستغِث بالقدّيس الجديد مار فرنسيس ، فلعلّه يخلّصنا * فتوسّلوا بصدق الاعتقاد اليهِ ، ولمّا فرغوا من الدعآء اذا بالمراسي طافية على وجه البحر ، وسكنت العواصف وهدئ البحر ، وسلموا جميعًا *

وعزم رجل محبٌّ للقدّيس مار فرنسيس أن يزور جثمانهُ ، فركب سفينةً في البحر ، وسار ايّامًا ، فمرض في السفينة ، وطلب مآء

ليشرب . فقدموا له ماء مكدرًا كان في ارض البرميل . لان الماء كان قد نفد . واشتد عطشهُ . فتوسل الى الله بشفاعة القديس فرنسيس ❊ فافتكر بذاته ان البرميل قد امتلأ . فقال لواحد : اذهب عند البرميل وأئتني بقدح ماء . لان فيه ماء صافيًا فمضى واتاه بقدح ماء . وشربهُ وحمد الله تعالى ❊ وفي اليوم الثاني هاج البحر مضطربًا . وهبت العواصف وايقنوا أنهم اشرفوا على الهلاك . وظنوا أن الصاري قد انكسر . والقلاع والحبال تقطعت . فتوسل هذا المريض بالقديس فرنسيس . وشعر في نفسه أنه قد

قُبل دعاه، وحصل على الاجابة، فالتفت الى رفاقهِ وقال لهم: يا اخوتي ان مار فرنسيس قد جاء لينقذنا، قوموا واستقبلوهُ، فاذ سمعوا هذا خرّوا باجمعهم على ارض السفينة، وطلبوا النجاة من تلك الشدّة، وعند تمام الدعا اذا بالرياح هدئت، وسكن البحر، وصار هدوٌّ عظيم، ونجوا جميعًا ❊

ومثل هذه وما يضاهيها من الكرامات والعجائب من شفاء المرضى واقامة الموتى وخلاص المشرفين على الغرق وغير ذلك اظهر الله تعالى بواسطة القدّيس مار فرنسيس ❊ ولنختم هذا الفصل باقتصاص ما

جرى للقدّيس بونونتورا في قيد حياة مار فرنسيس . كان مار بونونتورا مريضًا منذ ثلاث او اربع سنين . حتى يئست منهُ كلّ الاطبّآء وحكموا بموتهِ . واتّفق أنّ مار فرنسيس ذهب الى تلك البلاد ليكرز . فسمعت بهِ امّ بونونتورا ومضت اليهِ . وقصّت عليهِ حال ابنها . وقالت لهُ : لا تنسهُ من الدعآء حتّى يحصل على الصحّة والعافية . وقد نذرتهُ لرهبنتك أن شفي * فصلّى القدّيس من اجله لله . ليمنحهُ الشفآء التامّ . فحالاً شُفي . وحين تمّم القدّيس صلاتهُ اتى الى امّهِ وقال لها : نصيبك الآتي خير . ولهذا دعوهُ بونونتورا

الذي معناهُ نصيب خير، وقبلاً كان اسمهُ يوحنّا * واذ بلغ من العمر نحو ثماني عشرة سنة تذكّر مقال امّهِ حين مرضهِ، فدخل في رهبنة مار فرنسيس * هذا نبذة ممّا كان بهِ فرنسيس يحسن الى محبّيهِ * ولنأتينّ الآن الى ما كان يعاقب من مضطهديهِ *

الفصل الرابع والستون

في مقاصّة فرنسيس بعد موتهِ للذين اضطهدوهُ هو ورهبانهُ واحبّاءهُ

انّهُ في احد الايّام كان احد اغنياء بلد النمسا يستهزئ بالقدّيس فرنسيس

وعجائبهِ وكراماتهِ ومحبّيهِ ومَن يحجّ لزيارة جسدهِ ، فاذ كان يومًا مع جماعة من أَصحابهِ خاضوا في المذاكرة عن عجائب هذا القدّيس وكلّ واحد منهم قال مادرى واخبر بما سمع وجرى له * فالتفت الرجل المذكور وقال : ان كان فرنسيس قدّيسًا كزعمكم فليكن علّة موتي سيفي هذا المعلّق في وسطي . ولمّا فرغوا من الكلام مضى كلّ منهم الى محلّهِ * فحدث مشاجرةٌ عظيمة بينهُ وبين ابن اختهِ . فغضب ابن اختهِ جدًّا . ولم يستطع الصبر ، فسلّ السيف من وسط خالهِ ، وطعنهُ بهِ في صدرهِ ، فسقط

على وجهه ميتًا۞ فلمّا سمعت اصحابهُ قالوا: هذا جزآء تجديفهِ على القدّيسين والصالحين ومقتهِ لهم۞

ثمَّ أنَّهُ في بلاد فرنسا اوصى خوري احدى الكنائس رعيّتهُ كلّها أن يعيّدوا لمار فرنسيس ، فتقمقم احد النجّارين وابى واقبل الى عملهِ ۞ فسمع صوتًا يقول ثلاث مرّاتٍ : لا تشتغل ، فلم يقبل ، وتناول القدوم ، واخذ عودًا لينجرهُ ، فالتصقت يدهُ الواحدة بالقدوم والاخرى بالعود ، ولم يستطع أن يفتح كفّيهِ۞ فاتى على تلك الحالة الى الكنيسة ، واعترف امام الناس بخطيّتهِ

وعاهد الله ثلاثة عهود . فقال في العهد الاوّل: بعد هذا اليوم كلّ سنة اعيّد عيد مار فرنسيس فانفتحت من كلّ يد اصبع * وفي العهد الثاني قال: كلّ سنة احضر الى هذه الكنيسة في هذا العيد * وفي العهد الثالث قال: ازور جسد مار فرنسيس بنفسي * ثمّ انفتحت كفّاه . واخذوا القدوم والعود . وعلّقوهما في الكنيسة تذكاراً لتلك الآية * وانّ الله ما انتقم ممّن استهزأ بمار فرنسيس وعاداه فقط بل ممّن فعل ذلك برهبانه ايضاً *

فمن ذلك ما جرى لرئيس من اديرة مار بندكتس * اعلم أنّ رئيس رهبنة مار

فرنسيس ارسل جماعة من رهبانه الى بلاد الانكليز ليعمّروا فيها اديرة ، ففي ذلك الزمن ذهب اثنان من رهبان مار فرنسيس الى هذه البلاد ، وفيها انقطعا في البراري ، واشتدّ عليهما الجوع والبرد والمطر ، حتّى كادا يهلكا ، فرحمهما الله تعالى الى أن وصلا الى دير من اديرة مار بندكتس وقت الغروب * فطرقا الباب ، فرآهما البوّاب ، وذهب عند رئيس الدير ووكيل الكنيسة ووكيل الخرج واخبرهم ، فقالوا لهُ : افتح لهما الباب ، كي نراهما * فعاد وفتح لهما الباب ، فدخلا عند الرئيس ، وسلّما عليهِ ، فاذ راى

حالتهما وثيابهما الغريبة ظنّ أنّهما من
الفلّاحين المطرّبين اللعّابين . فطلب
منهما أن يلعبا ويظهرا ما عندهما لتنشرح
صدور رهبانه بمشاهدتهما . فاجابا الرئيس :
نحن رهبان قد زهدنا عن العالم . وتركنا كلّ
شي . وجعلنا قانوننا المشورات الانجيليّة .
ولسنا من اهل تلك الصناعة * فغضب
الرئيس من قولهما هذا . ونفاهما من قدّامه .
وامر البوّاب أن يطردهما خارجًا . ويغلق
الباب * فخرجا من عنده بانكسار خاطره
وكان في ذلك الدير شابّ من الرهبان .
تحنّن وترجّع عليهما من شدّة البرد والمطر

والجوع ، فلمّا دنوا من الباب قال للبوّاب :
دعهما هذه الليلة يناما هنا بغير علم الرئيس ،
والّا فالى اين يذهبان في هذا الوقت ❊
فرضي البوّاب ، وادخلهما الى حجرةٍ خالية ،
ومضى ذلك الشابّ الى المطبخ ، وقدّم لهما
ما تيسّر لهُ من الخبز والطعام ، واكرمهما
على مقدرتهِ ❊ ففرحا وقالا لهُ : جزاك اللهُ خيرًا
واجر الصالحين ❊ ثمّ اوصى البوّاب وقال
لهُ : متى ما شقّ الفجر واصبح الصباح فافتح
باب الدير ليذهب هذان الى سبيلهما ،
لئلّا يراهما الرئيس ❊ فقال : حبًّا وكرامةً ،
وذهب الشابّ الى قلّايته لينام ، فرأى في

نومه كأنهُ صارت القيامة ، والمسيح جالس
على عرش فاخر ، وحولهُ جماعات كثيرة ،
وبينهم القدّيس مار فرنسيس يشتكي
الى المسيح قائلاً : ايها السيّد ان رهباني كانوا
ذاهبين لخلاص الانفس التي افتديتها بدم
اقنومك ، وخلّصتها من نار جهنّم ، وشاهدت
من سمائك كيف اولئك القوم طردوهم من
ديرهم ، وما اعطوهم احتياجاتهم الضروريّة ،
اعني القوت والمأوى ، واحتسبوهم لعابين
ومسخرة ليستهزئوا بهم بعد أن كانوا اغنياء
بالأموال والأملاك ، فتركوا كل شيء وزهدوا
عن الدنيا باسرها وذلك من اجل محبّتك *

فلمّا سمع السيّد المسيح اذية رهبان فرنسيس والاستهزاء بهم امر باحضار كلّ مَن في ذلك الدير من الرهبان. ولمّا جاءوا التفت السيّد نحو الرئيس بالزجر وقال له: من ايّة رهبنة انت: فاجابهُ مرتعدًا كالسعفة من شدّة الخوف وقال: انا من رهبان القدّيس مار بندكتس. ثمّ التفت المسيح نحو مار بندكتس وقال لهُ: اهذا من رهبانك. فقال: لا يا سيّدي. بل انّما هو الذي خرّق رهبنتي وخالفها. لانّ الموائد في اديرتي هي موائد الفقرآء. وهو منع الفقرآء ما حقّهُ ان لا يُعطى الّا صدقات للفقرآء * فالتفت المسيح الى

الرئيس ، وطردهُ من امامه ، وحكم عليه بالموت * وفعل هكذا بوكيل الكنيسة ووكيل الخرج وحكم عليهما بالموت * وبعد ذلك التفت السيد المسيح الى الشاب المحسن الى رهبان مار فرنسيس ، وسالهُ : من اي رهبنة انت : فاجابهُ مرتعداً وخائفاً أن يصيبهُ مصاب الرئيس ورفقته ، وقال : انا من رهبان هذا الفقير مشيراً الى مار فرنسيس * فسال المسيح فرنسيس وقال لهُ : هل صدق هذا بالقول انهُ من رهبانك ، فقال فرنسيس : يا سيدي قد قبلتهُ في رهبنتي * ووقتئذٍ اقبل فرنسيس الى الشاب ، وقبلهُ * وفي الحال

انتبه الشابّ من نومهِ مرتعدًا وخائفًا . وعند الصباح اسرع ذاهبًا الى قلّاية الرئيس ليخبرهُ بما راى في نومهِ . فشاهدهُ ملقى على المنام ميّتًا مظلم الوجه مخيفهُ . وذهب الى وكيل الكنيسة ووكيل الخرج ليخبرهما بما جرى لهُ في النوم . فوجدهما من الموتى . ووجوههما مظلمة مخيفة . وعليهما اشارت الغضب . اجارنا الله من ذلك * فاسرع الشاب بالذهاب الى رهبان مار فرنسيس . فراى أنّ البوّاب قد فتح لهما باب الدير حين طلوع الفجر خوفًا من أن يراهما الرئيس * فندم الشابّ على ما اوصى بهِ البوّاب

ـسـآ ۞ واخبر كلّ الرهبان الموجودين في الدير بما رآهُ في نومه ٠ وبما جرى للرئيس ورفاقهِ ٠ ودخل في رهبنة مار فرنسيس ۞

ولنختم هذهِ السيرة المختصرة المختصّة بالقدّيس فرنسيس بذكر ما انعم بهِ اللّه على جسدهِ ٠ فنقول انّ اللّه عظّمهُ بالغنا ٠ وينعمُ مجازاة أفعالهِ في هذهِ الدنيا وفي الآخرة ٠ لانّهُ جعلهُ مقبولاً ومكرّماً ومحترماً لدى الناس كلّهم في حياتهِ وفي موتهِ ۞ وهذهِ الكرامات والعجائب التي صنعها في العالم كشفاء الامراض واقامة الاموات وما يضاهيها ما قد نتوسّل الى اللّه تعالى أن يفعلها بواسطتهِ ۞

فالواجب علينا نحن المسيحيّين أن نقدّم الشكر والحمد لله تعالى على ما انعم به على القدّيس المعظّم مار فرنسيس السرافي في حياته وفي موته بالمواهب والنعم الجزيلة الفائقة العدد . فاننا كلّما نتامّل في سيرته واحواله يثبت عزمنا وتتقوّى قلوبنا لنتبع سلوكه باستعمالنا الفضائل الضروريّة لنا واقتنائها لمنفعتنا وخلاصنا ودخولنا في الملكوت السموي حيث نؤدّي الحمد للّه الذي منحنا قدّيسيه لنقتدي بسيرتهم . لانّهُ وهب النعمة والتوفيق والمنّا وهو مالك الى ابد الابدين ودهر الداهرين . امين *

فهرس الكتاب

وجه

وجه

وجه

وجه

-<>-

